فن الدراسات الإنسانية ١

الشخصية الاجتماعية

سمات وسلوك

د. ماجد رمضان

الشخصية الاجتماعية

سمات وسلوك

طبعة مزيدة ومنقحة

د. ماجد رمضان مصطفى

دار المنار الحديثة للنشر والتوزيع

تليفاكس/ ٢٠٤٤١٩٤

حقوق الطبع محفوظة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

الكتاب: الشخصية الاجتماعية سمات وسلوك.

المؤلف: د. ماجد رمضان مصطفى.

الطبعة: الثانية مزيدة ومنقحة

النشر والتوزيع: دار المنار الحديثة للنشر والتوزيع.

تليفون: ٢٠٤٤١٩٤.

الإيداع القانونى: ٢٧٣٤ - ٢٠٠١

الترقيم الدولى: I.S.B.N: 977 - 5103 - 53 - 3

إخراج فنى: أحمد عبد العزيز.

ترددت كثيراً فى نشر هذا الكتاب، وأخَّرت طويلاً إتمام كتابته، ولم يكن شعورى بأن الموضوع لا يستحق الاهتمام، بل لشعورى بأن ما كتبته لا يبرز المشكلة بما تستحق من تقدير، إذ أن كثيراً من الموضوعات التى تناولتها كنت أراها غير وافية، ولكن كما يقول ابن العماد:

لا يكتب الإنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده لو زِيد هذا لكان أحسن ولو نقص هذا لكان يستحسن، ولو تغير هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر!

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد فقد انتشرت بين المسلمين تقاليد وأعراف شب عليها الصغير وشاب عليها الكبير، فحسبها كثير منهم أنها نبتت على مبادئ الدين وشرائع الحق، أو أنها على الأقل تصادق الأخلاق الإسلامية، وألبس فريق آخر هذه التقاليد والأعراف الثوب الإسلامى بأن صاغوا لها التبريرات والتأويلات فحسنوها وزينوها للناس حتى صارت هذه التقاليد ملتصقة بالإسلام وبالأفراد الذين ينتسبون إليه.

فلنعلم جيداً أن العرف – مهما شاع – يُحكم عليه ولا يُحتكم إليه، والتقاليد مهما استحكمت فلا ينبغى أن تتخذ أصلاً فقد تكون باطلاً محضاً أو خليطاً من حق وباطل، والمرجع فى ذلك كتاب الله وسنة رسوله.

ومن هذه الأمور ما يتعلق بسلوكيات الأفراد وتصرفاتهم الاجتماعية تجاه إخوانهم ومجتمعهم، ولما كانت مثل هذه التصرفات تتكرر بدون توجيه إلى خطئها فإنها تظل عادة عند صاحبها، بل ربما تصبح لازمة يصعب تغييرها، وبعض المربين يلاحظون هذه التصرفات فيسكتون عنها خجلاً ظانين أنها تصرفات عابرة ولا داعى أن يصنع منها مشكلة تعكر صفو القلوب، بينما الواجب تربوياً أن يتدارك هذا الأمر من أقرب طريق وبأدق وأرقى ما يغرس الحب ويحافظ على الإحساس والشعور بين الإخوة.

إن هذا الكتاب يحوى فنون وقواعد تستهدف اكتساب الفرد سمات وسلوكيات الشخصية الاجتماعية التى تستطيع أن تكتسب قلوب الناس وتجذبهم إلى الإسلام وتعاليمه، والناس هم أزواجنا وإخواننا وأصدقاؤنا فى العمل وجيراننا فى المجتمع وهو فن جديد صار علماً يدرس فى المعاهد والجامعات وهو فن معاملة الآخرين - فن المعاملة الإنسانية، فن العلاقات العامة- الذى لا غناء عن إجادته طمعاً فى سعادة أو كسب، أو تقدم ورقى ونجاح لفكرتنا.

ولقد قرأت كتاب «كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس» للعلامة «ديل كارينجى»، وكذلك كتاب «طريق الشخصية الجذابة» للعلامة «جيمس بندر».

ووجدت أن فيهما شيئاً من ديننا، وأن الذى ذكر فيهما يتفق من وجوه لا حصر لها مع الآيات الثابتة فى قرآننا والأحاديث المأثورة عن نبينا، وأن هناك اتفاق بين وحى التجربة ووحى السماء.

فأحببت أن نستفيد مما وصلت إليه الحضارة الغربية فى هذا المجال.

كل خير وبهيج وجميل

هو فى بيدائنا نعم الدليل

حسنه فى القلب نور يسطع

تجد الآمال منه تطلع

خُلق الحسن نظير الأمل

وأدأم الحسنُ نورَ الأمل

وحيث إن التربية هى عملية تحلية وتخلية، فهناك إذن صفات وسلوكيات وأفعال محمودة ومرغوبة وفاضلة يجب أن يتحلى بها المسلم الملتزم تجاه إخوانه ومجتمعه وبيته، وهناك أيضاً صفات وسلوكيات وأفعال مرذولة يجب أن يتخلى عنها المسلم الملتزم ويجاهد نفسه على هذا الأمر.

وفى النظرات التالية سنتناول ظواهر وسلوكيات يجب التخلى عنها وأخرى يجب التحلى بها وهى سلوكيات وظواهر منتزعة من واقعنا المعاصر، ومن هنا تأتى أهمية التنبيه إليها، وهى موجهة لكل مسلم ملتزم، ولكل مربٍ يقوم بهذه المهمة الشاقة التى ورثها عن الأنبياء داعياً الله أن يوفقه ويسدد خطاه نحو هذا الأمر العظيم.

وليعلم كل مربٍ أن حسن الخلق لا يؤسس بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهى المجردة، إذ لا يكفى فى طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره: «افعل كذا... أو لا تفعل كذا».

فالتأديب المستمر يحتاج إلى تربية طويلة ويتطلب تعهداً مستمراً، ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيىء لا يترك فى نفوس من حوله أثراً طيباً، إنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه فيروعها أدبه، ويسبيها نبله، وتقتبس بالإعجاب المحض من خلاله وتمشى بالمحبة الخالصة فى أثاره.

فلكى يحصل التابع على قدر كبير من الفضل لابد أن يكون فى متبوعه قدر أكبر وقسط أعلى.

ولهؤلاء المسلمين الملتزمين أقدم هذه النظرات قياماً منى بالواجب الذى أوجبه الله علىَّ، وتذكيراً للمربين بهذه النظرات للإقبال عليها والعمل بها.

وهذا الكتاب لا ندّعى أنه استكمل دراسة الموضوع وبلغ أبعاده الكاملة. وإنما هو خطوة على طريق التأصيل والمنهجية لهذه القضية الهامة التى لم تأخذ بعد ما تستحقه من الدراسة والبحث والمتابعة والنظر، والعمل على إبراز الدور المتميز للحل الإسلامى. الذى لا يشكل اختياراً بالنسبة للمسلم، وإنما هو وجود، إنه الحل الذى يعصمه الوحى. وترعاه عين النبوّة وتغنيه سيرتها.

فإن أفلحت فيما قدمت فذلك فضل الله علىّ، فله الحمد والشكر، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى حاولت، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أبو معاذ

٢٠٠٠/١٠/١

الفصل الأول

مفهوم التربية الاجتماعية

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه «أخبرونى عن شجرة مثلُها مثل المؤمن»، فجعل القوم يذكرون شجراً من شجر البوادى قال ابن عمر: وألقى فى نفسى أو روعى أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها فإذا أسنان القوم فأهاب أن أتكلم فلما سكتوا، قال رسول الله ﷺ: «هى النخلة».

إن الإنسان ينبغى له أن ينمو كما ينمو النبات وليس كما يعلو البناء، لأن النبات إنما ينمو داخل نفسه وبما يتمثل داخله من غذاء وماء وهواء وضوء. أما البناء فإنه لا يعلو من تلقاء نفسه، وإنما يضاف إليه من خارجه بجهد الآخرين وليس بجهده هو.

•••

مفهوم التربية الاجتماعية

إن الفاحص المدقق المتابع لأحوال الأمة المسلمة اليوم قد لا يتجاوز الحقيقة كثيراً إذا قال:

إن الأمة المسلمة اليوم تعيش مرحلة «القصعة» وهى مرحلة الوهن الحضارى بأبعادها كلها التى أخبر عنها الصادق المصدوق بقوله: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا بل أنتم كثير ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قيل وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

وإن الناظر إلى المعركة الدائرة بين أمة الإسلام وبين عدوها قد يظن -لأول وهلة- أنها صارت معركة غير متكافئة، ولم يعد هناك مبرر لاستمرارها إذ يبدو أنها حسمت بالتفوق الساحق لأعداء الإسلام على المسلمين حتى صار المسلمون لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا؛ فهناك فجوة هائلة فى امتلاك أسباب القوة العسكرية بين المسلمين وأعدائهم، تلك الفجوة التى إن تحقق مثلها بين أى عدوين متقاتلين لاكتفى المتفوق منهما بها واعتبر نفسه منتصراً نصراً عسكريًا ساحقًا، وعد عدوه من المهزومين الذين انتهى خطرهم.

وكذلك أيضًا على الصعيد السياسى والاقتصادى وعلى المستوى العلمى نجد فجوة هائلة بيننا وبين أعدائنا لا تحتاج لجهد لتبينها.

والآن ماذا يريد المنتصر أكثر من هذا؟ إن معركة يحقق فيها أحد طرفيها

مثل هذه الانتصارات على عدوه جديرة بأن ينقشع غبارها وتخمد نارها.

ولكنها ليست هى الحقيقة، مازال الطرف المتفوق يكيل لنا الضربات ويحتاط منا ويجمع علينا -بل- مازال يعدنا العدو الأول الذى يخشى جانبه، مازال الطرف المنتصر يزيد المعركة شراسة حتى إن الحرب لا يبدو عليها أنها فى طريقها لتضع أوزارها بل هى فى اتجاه لأن تزيد أوزارها.. لماذا؟

لأن عدونا يفهم حقيقة المعركة وموضوعها وميدانها فهما أصح وأدق من فهم كثير من بنى جلدتنا. لذلك فهو مستمر فى حربه. فما هى حقيقة المعركة التى يريد الانتصار فيها؟

إن ميدان المعركة الحقيقى الذى يحارب فيها عدونا الآن هو ميدان كيان الإنسان المسلم فى الأساس، إنه سيسعى لإفساد هذا الكيان إنه ينظر إلى تكوين الفرد المسلم نظرته إلى إناء صالح للامتلاء بالإسلام، وأراد العدو لهذا الإناء أن يفرغ من الإسلام ويمتلىء بغيره، فلما فشل قرر أن يقلب هذا الإناء حتى لا يصلح أن يحتفظ بالإسلام إن صُب فيه مستقبلاً.

إن ميدان المعركة بيننا وبينهم الآن هو الهوية والخصائص والتكوين والصبغة الإسلامية.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧] (*).

ولن يكون أى نهوض أو بناء لهذه الأمة إلا بتصويب تلك المعادلة والخروج من مرحلة «القصعة» ومعالجة الإصابة بالوهن، وذلك إنما يكون بإعادة صياغة الشخصية المسلمة اليوم والتركيز على إنسان الواجبات لا إنسان الحقوق.

(*) «حقيقة المعركة» جاسم عبد الرحمن.

وقد تستغرب كثيراً إذا علمت أن أمريكا التى تتفرد بقيادة العالم اليوم، عندما سبقت إلى ارتياد الفضاء من قبل الإتحاد السوفيتى اعتبرت السبب: فساد النظام التربوى التعليمى وعجزه عن إخراج المبدعين، فشكلت اللجان المتنوعة والمتخصصة لإنقاذ ما أسمته (الأمة المعرضة للخطر). وأن الرئيس السابق جورج بوش قال مراراً في حملته الانتخابية: إنه سيكون رئيس التربية والتعليم. بل إن روبرت د.هورماش وهو خبير اقتصادى أمريكى عندما سئل عن أهم مشاكل الاقتصاد الأمريكى وصف من بينها «نظام التربية والتعليم» الذى لم يلق اهتماماً كافياً لأن التربية الحقيقية هى التى تكون قادرة على تشكيل الإرادات واكتشاف الطاقات والتزويد بالمهارات التى تجعل الإنسان قادراً على التعامل مع الواقع والنهوض به إلى مستويات المثل الأعلى والأهداف الممكنة.

هذا أعلى مستوى للتربية بشكل عام فى الدول المتقدمة ولا حرج إطلاقًا من التمثيل بهم والاستفادة بما لديهم ولننظر كيف استطاعت أن تشخص الداء وتحدد له الدواء، أما على مستوى الدول المسلمة فبالإمكان القول بأن أجهزتها معطبة، فهى عن تشخيص الداء عاجزة فضلاً عن توصيف العلاج.

وإن مهمة التربية الإسلامية اليوم هى إيجاد إنسان الاستخلاف، وهو الفرد المسلم الصادق الذى تتمثل فيه صورة الإسلام الوضيئة المشرقة، يراها الناس فيرون الإسلام، ويتعاملون معها فيزدادون إيمانًا بمنهجه وإقبالاً عليه.

وهذا ما صنعه الرسول ﷺ فى صدر الدعوة، إذ كانت أولى خطواته فى درب الإسلام الطويل أن يصنع رجالاً يتجسد فيهم الإسلام فإذا هم مصاحف تمشى على الأرض، انتشروا فى أنحاء الدنيا فرأى الناس فيهم نماذج فريدة من

البشر يمثلون منهجًا فريداً أيضًا، فلما رأوا المنهج الفريد مجسداً فى الفرد المؤمن الصادق أقبلوا يدخلون فى دين الله أفواجًا.

والإنسانية اليوم، والمسلمون على وجه الخصوص، فى أمسِّ الحاجة إلى صنع هذا النموذج الفريد من البشر الذى لا تطيب الحياة إلا به، ولا تسود القيم الإنسانية إلا بوجوده، ولا تنجلى حقيقة الإسلام إلا من خلاله بتصرفاته وأفعاله.

ومن الثابت تجربة وواقعًا أن سلامة المجتمع وقوة بنيانه وتماسكه مرتبطان بسلامة أفراده وإعدادهم الجيد. ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأفراد، حتى إذا تربوا وتكونوا وأصبحوا يتقلبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان المنضبط المتزن العاقل الحكيم.

والتربية الإسلامية عملية تنمية شخصية للإنسان وهى تشمل كل جوانب ومجالات التربية (تربية إيمانية – تربية فكرية – تربية خلقية – تربية بدنية – تربية جهادية – تربية اجتماعية – تربية سياسية – تربية مهنية) مع الحرص على أن تتمثل كل هذه الجوانب فى انسجام وتكامل، تتوحد معه طاقات الإنسان وتتضافر جهوده، لتحقيق هدف واحد تتفرع عنه وتعود إليه جميع الجهود والتصورات وضروب السلوك ونبضات الوجدان، وهو إيجاد إنسان الاستخلاف.

ولكن من الملاحظ أن المربين يركزون جهدهم على التربية الإيمانية والجانب الروحى لدى المُربَّى، وإن كان هناك فسحة من الوقت، وجهت بعض الجهود للجوانب الأخرى ومروا عليها فى غير عناية ولا تركيز، مما أحدث خللاً ظاهراً فى سلوكيات الأفراد وثقوبًا كثيرة فى التربية مما يحتم على المربين أن يقوموا

برتقها قبل أن يتسع الخرق وتظهر العورات.

ومن الجوانب التى أهملها المربون هى ما نستطيع أن نطلق عليها (التربية الاجتماعية).

ونقصد بها: تأديب الفرد المسلم منذ نعومة أظافره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة والشعور الإيمانى العميق ليظهر الفرد فى المجتمع على خير ما يظهر به من حسن التعامل والأدب والاتزان والعقل الناضج والتصرف الحكيم.

وهذا ما أخذه الغربيون وأسموه «الإتيكيت» أو فن معاملة الآخرين.

ولا شك أن هذا الفن أو هذه التربية هى حصيلة كل تربية أكانت إيمانية أم خلقية أم نفسية، لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التى تُربى الفرد على أداء الحقوق والتزام الآداب والرقابة الاجتماعية والاتزان العقلى وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين.

ولذلك قالوا: والله ما فاز من فاز إلا بحسن الأدب، وما سقط من سقط إلا بسوء الأدب.

وقال بعضهم: إن الأدب له دائرتان:

دائرة الأدب مع الله ودائرة الأدب مع الأحياء. وبعضهم يضيف دائرة ثالثة هى دائرة الأدب مع الأشياء.

وما يهمنا فى موضعنا هذا دائرة الأدب مع الأحياء أى الخلق، فواضح أن الكتاب والسنة تحدثا عن آداب المسلم فى المأكل والمشرب، والزينة والملبس، والنوم واليقظة، والسفر والإقامة، والزمالة والعشرة، والعمل والراحة، والصداقة

والصحبة، والزواج والطلاق، وفى العلاقة بين الرجل والمرأة، وفى العلاقة بين الولد وأبيه، وفى العلاقة بين القريب والبعيد، وفى العلاقة بين الجار وجاره، وفى العلاقة بين الكبير والصغير، وفى العلاقة بين الغنى والفقير، وفى العلاقة بين البائع والمشترى، وفى العلاقة بين الرئيس والمرءوس، وفى العلاقة بين الخادم والمخدوم... إلخ.

فالباحث المستقصى نصوص التوجيه الاجتماعى فى الإسلام، يجد نفسه أمام حشد كبير جداً من النصوص التى تحض على كل خلق من هذه الأخلاق الاجتماعية الرفيعة، مما يدل على عناية الإسلام البالغة فى تكوين شخصية المسلم الاجتماعية تكويناً دقيقاً، لا يكتفى بالعموميات، بل يقف عند كل جزئية من الجزئيات الخلقية التى تكون جانباً من جوانب الشخصية الاجتماعية المتكاملة. وهذا الاستيعاب والشمول لم يتوافرا فى منهج من مناهج التربية الاجتماعية توافرهما فى منهج هذا الدين.

فكما تميز الفرد المسلم فى عقيدته وشعائره وأفكاره ومشاعره وأخلاقه، فلابد عليه أن يتميز كذلك بآدابه وتقاليده الخاصة المصبوغة بصبغة الإسلام.

إن هذه التقاليد والآداب والعلاقات الاجتماعية تحقق للفرد المسلم شخصية متميزة الملامح واضحة التقاسيم وتمسكه أن يذوب وينصهر فى عادات وتقاليد منافية لديننا لا تميز بين ما يجوز وما لا يجوز وما يصلح وما لا يصلح.

ما أروع أن يعرف المسلم أصول التعامل واللقاء، وكم يحظى بالاحترام ويكون محل تقدير وإجلال حينما يطبق هذه الآداب عملياً، ويظهر فيها اجتماعياً ويحققها سلوكياً.

وكم تبلغ قمة المثل والأخلاق حينما يعرف المسلم الآدب فى طعامه وشرابه، وفى سلامة واستئذانه، وفى مجالسته وحديثه، وفى طرائفه ومزاحه، وفى تهنئته وتعزيته، وحتى فى عطاسه وتثاؤبه!! وهى آداب وعلاقات اجتماعية فرضها وأوجبها الإسلام على الصغير والكبير، والمرأة والرجل، والحاكم والمحكوم، والأمير والسوقة، والعالم والعامى.

وحيث إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها؛ فما على المربين اليوم إلا أن يشحذوا هممهم، ويجمعوا قواهم ويطلقوا نشاطهم وعزائمهم فى تربية الجيل المسلم الناشىء على هذه الآداب الاجتماعية الفاضلة. ونربى عليها الأبناء والبنات بكل عزم وهمة لأن الهدم فى عصرنا صار بالألغام لا بالمعاول.

وإذا كان الشاعر يقول:

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه

إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟

وقال آخر:

فلو ألف بانٍ خلفهم هادم كفى

فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم

ولكن البناء الربانى ما خالطه الإخلاص بناءٌ يستعصى على الهدم، بناءٌ الكلمة الطيبة فيه أصلها ثابت وفرعها فى السماء!

ولقد ضرب عبد القادر الجيلانى مثلاً للمؤمن إذا استوفى التربية واحتاجه الناس، فشبَّهه بنواة فى صحن دار لا سقف له تحيطها جدران أربعة، فتنبت، ويربيها ماء المطر وشعاع الشمس، حتى إذا استوت نخلة، وشمخت مرتفعة

طامحة إلى الأعالى، رآها الناس، وأغراهم رُطبها، فالتقطوا منه يأكلون، واستظلوا بسعفها، وهى محروسة فى الداخل ليست تنالها يد مفسد.

وما تطمح تربيتنا إلى تكوين رجال أوفَى من هذا المثل فى هذه الصفات والخلال.

وإن ذلك ليزيدنا عزمًا إلى عزم وهمة إلى همة للقيام بواجب البناء والتبصير والتنوير!

❁❁❁

الفصل الثانى

نافذة على الشخصية الاجتماعية

مـــزّقى عن وجـــهك اليـــانع، أســـمـــالَ القناعِ
وارفـــعى الســـتـــرَ، بلا خـــوف على أىٍّ مـــتـــاعِ
زادُك النـورُ. وفى دربك ينـبـــوع الشـــعـــاعِ
فـــانفـــذى - فـــالســـرُّ إن ســـرت على قـــيـــد ذراعِ
واصْـــرَعى المَوْجَ، ولو أقـــبلتِ من غـــيـــر شـــراع
واركـــبى الإعـــصـــارَ والإصـــرارَ فى وجـــه القـــلاع
إنما الخـــائف عند الزحف. مـــحـــتـــومُ الضـــيـــاعِ
فـــاكـــشـــفى ذاتَكِ وامـــضى، واتبـــعـــينى فى صـــراعى

محمود حسن إسماعيل

○○○

لفظ الشخصية من الألفاظ الدارجة على لسان كثير من الناس فنحن نسمع إنساناً يتحدث عن إنسان آخر بأنه « شخصية محبوبة » أو أنه « شخصية جذابة » أو « شخصية عدوانية » أو « شخصية ضعيفة » أو شخصية اجتماعية » أو لا شخصية له .

ولشيوع اللفظ على ألسنة الناس، أصبح يبدو لنا بسيطا ومفهوما ولا يحتاج منا إلى تفسير أو توضيح .

ولكن إذا وجهت سؤالا إلي من تشيع على ألسنتهم هذه الكلمة .

ماذا تقصد بالشخصية؟

لوجدت الإجابات لا تخرج عن انطباعات عامة دارجة . لذلك كان لابد من تحديد المعنى وتعريف المصطلح .

وقد حاول الباحثون وضع تعريفات لهذا المصطلح ولم يصلوا إلى تعريف واحد مقبول منهم جميعا . فتعريف الشخصية مسألة افتراضية . فليس هناك تعريف صحيح والباقى تعريفات خاطئة .

فقد أورد « جوردون ألبورت » فى كتابه « الشخصية » – باللغة الإنجليزية – Personality ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفا للشخصية .

ويذهب غالبية الباحثين إلى أن لفظ « الشخصية » مستمد من لفظ « برسونا » فى اللاتينية القديمة، ويتفق الجميع على أن لفظ « برسونا » يعنى القناع .

ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليونانى القديم، إذ اعتاد الممثلون ارتداء

أقنعة على وجوههم لكى يعطوا انطباعًا عن الدور الذى يقومون بتمثيله.

ولقد ورد لفظ الشخصية فى كتابات «ششرون» المشرع اليونانى القديم بأربعة معانٍ:(١)

فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها:

١ – الفرد كما يبدو للآخرين وليس ما هو عليه فى الحقيقة، وهى بهذا المعنى تتصل بالقناع.

٢ – مجموع الصفات الشخصية التى تمثل ما يكون عليه الفرد فى الحقيقة.

٣ – الدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة سواء كان دورًا مهنيًا أو اجتماعيًا أو سياسيًا.

٤ – الصفات التى تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية.

أما لفظ الشخص أو الشخصية فى اللغة العربية – كما تحكى المعاجم – فهو كل جسم له ارتفاع وظهور، إنسانًا كان أو غير إنسان، وإذا كنا نتحدث عن الإنسان فلفظ الشخصية إذًا يمثل الجانب المادى منه، أما الجانب الروحى من الإنسان فقد استخدم العرب ألفاظًا أخرى للتعبير عنه، وعليه فإن معنى كلمة الشخصية بالمفهوم الذى نعرفه ونتكلم حوله معنى حديث يشمل باطن الإنسان وظاهره جميعًا.

وقد عرف الشخصية علماء النفس بأنها:

«مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية وكذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة.

---

(١) سيد محمد غنيم – الشخصية.

أما أصحاب النظرة الاجتماعية فقد نظروا إلى الشخصية باعتبارها:

«استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية فى البيئة».

ويميل البعض إلى القول بأن الطبيعة الإنسانية اجتماعية فى أساسها. ولكن هناك مواقف وعوامل ومحددات وجدانية ومعرفية تلعب دوراً هاماً فى تحديد شخصية الفرد.

فالبيئة الثقافية والاجتماعية التى يعيش فيها الفرد وكذلك عوامل الوراثة وأيضا الخبرات التى يمر بها الفرد كلها تلعب دوراً فى نمو وتحديد الشخصية بصفة عامة(١).

وقد يكون الفرد شخصا منطوياً تتركز أفكاره وعواطفه وميوله فى نفسه، ويكون عادة عزوفًا عن المجتمعات لأنه يفضل عليها صحبة نفسه، فإذا تصادف أن ذهب إلى حفل أو مناسبة اجتماعية، قضى الليل متقلبا فى فراشه متحسراً على ما كان يود أن يفعله أو يقوله، ولكنه لم يفعله ولم يقله!!

وهو عادة دائب التحليل لرغباته ودوافعه، ورغبات الناس ودوافعهم، والتسلية فى رأيه لا تعدو قراءة كتاب أو الاستماع إلى المذياع بمفرده.

وهو فائق الحساسية تجاه النقد، يحمل الحقد أمدا طويلا، وبرغم حصيلته الطيبة من الإلمام بدقائق نفسه فإنه يعزف عن الحديث عن نفسه حتى مع أقرب المحيطين به.

أما الشخص الاجتماعى فهو عكس ذلك.

---

(١) أبو الوفا مصطفى المراغى- السلوك الخلقى الاجتماعى فى الإسلام.

فالاهتمام كله منصرف إلى خارج نفسه، فهو رجل أفعال لا رجل أحلام، شديد الاستجابة للعالم الخارجي، لا يتنفس إلا فى المجتمعات، فإذا انعزل عن الناس أوشك أن يختنق.

وهو سريع الاندماج فى الناس، سريع إلى كسب ودهم، فهو يقبل على مصافحة الغرباء فى حرارة وتودد، وهو يربت كتف هذا.. ويضاحك هذا، قلَّ أن تلصق به إهانة.. أو يكمن فى قلبه حقد.

والإنسان المسلم الواعى أحكام دينه اجتماعى بطبعه، لأنه صاحب رسالة فى الحياة. وأصحاب الرسالات لابد لهم من الاتصال بالناس يخالطونهم ويعاملونهم، ويبادلونهم الأخذ والعطاء. ولكن المسلم المعاصر واقع فى حيرة حقيقية تحول دون اكتمال شخصيته الاجتماعية فى كثير من الأحيان حاله كحال الرجل الذى نزل قرية فهاله ما رآه من أخلاق أهلها، وغريب عاداتها، فقد وجد قيماً وأخلاقًا تصطدم بما تربى عليه من مبادئ وقيم، فنقب وبحث عن السبب فوجد نهراً يشق القرية يشرب منه أهلها جميعًا، فأدرك أن كل من يشرب من هذا النهر يتخلق بأخلاق هذه القرية. فصار بين أمرين أحلاهما مر!

أيشرب منه فيصير واحداً منهم، فيرضى بأخلاقهم ويروض نفسه على غريب عاداتهم؟

أم يمتنع عنه: فيشعر بالغربة والعزلة عن أهل القرية؟ هذا هو حال المسلم الملتزم اليوم تجاه مجتمعه، لأن أنماط الناس لا تكون دوما على مزاجه وميوله، ورغبات نفسه، فيكون حاله كما وصفه الشاعر الفلسطينى عبد الرحمن بارود:

عـــابر.. يقطع الدياجى - غـــريبًـــا

ويـغـنـى فـى دربـه المـمـــــــــدود

هائـمـــا كـــالنســـيم فى الروض

كـــالنورس فى عـــالم بغـيـــر حـــدود

فالعاملون للإسلام يشعرون بالغربة، وإن تكاثر من حولهم الناس، لكنهم رغم غربتهم يستكثرون أنفسهم وإن كانوا قليلا لأنهم مع الحق، ويستقلون غيرهم وإن كانوا كثيراً لأنهم مع الباطل.

ولسانهم ينطق بقول الشاعر:

مـــا أكـــثـــر الناس؟ لابل مـــا أقلهم؟

الـلـه يـعـلـم أنـى لـم أُقُـلْ فَـنَـدا

إنى لأفـتح عـينى حـين أفـتـحـهـا

على كـــثـــيـــر ولكن لا أرى أحـــدا

فهو يعيش غريبا وإن كان فى وطنه، وبين أهله وأقربائه فهى ليست غربة وطن، ولا وجه ولا يد ولا لسان. ولكنها غربة فكر وروح واتجاه.

فقد لا يصبر على آراء بعض الناس الفجة، وسوء تصرفاتهم وخطل ظنونهم وتصوراتهم، وجفاء طبعهم، وبطء استجابتهم للحق وتثاقلهم إلى الأرض، والدوران حول المصلحة وغير ذلك مما يبدر من البشر، ويأبى أن يصدقها عقله، فيتملكه السأم والضيق والرغبة فى الانزواء واعتزال الناس.

فيأتى الهدى النبوى ليشد من عزمه، ويربت على قلبه ويثبت قدمه فيخبره أن:

« المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » أخرجه البخارى.

لأن أسمى درجات الغربة ما دفع بصاحبه إلى الأمام، يقول الشاعر:

تَســـتَّـــرتُ من دهرى بظل جناحـــه

فـــعـــينى ترى دهرى وليس يرانى

فإن هذا المسلم الغريب يرسل للناس من الأشعة الهادية والأنوار ما ينير لهم الطريق، فهو حريص على إيصال فكرته إلى الجميع، صادق فى علمه، عميق فى عاطفته، قلبه موصول بربه، مرتبط بدعوته، سائر على درب رسوله ﷺ.

فالإنسان المسلم يجب أن يكون اجتماعيًا من الطراز الرفيع، بما لقن من أحكام دينه الحق، وبما تمثل من أخلاقه الإنسانية الرفيعة النبيلة التى دعا إليها، وحض على التخلق بها فى مجال التعامل الاجتماعى.

فشخصية المسلم الاجتماعية التى استنارت بهدى القرآن الكريم، وارتوت من منهل السنة النبوية المطهرة شخصيته فريدة، ولا تقاس بالشخصية الاجتماعية التى ربتها النظم الوضعية المعاصرة، ولا الشرائع القديمة التى تعب فى صياغتها الفلاسفة والمفكرون.

إنها شخصية اجتماعية راقية، كونتها مجموعة كبيرة جداً من مكارم الأخلاق، نطقت بها نصوص هذا الدين الحنيف من قرآن كريم، وحديث شريف، وجعلت التخلق بها دينا يثاب المرء عليه، ويحاسب على تركه.

فاستطاعت بذلك أن تجعل من شخصية المسلم الصادق نموذجا فذاً للإنسان الاجتماعى الراقى المهذب التقى الخير النظيف. فمن المعلوم أن لكل قفل محكم

أصيل مفتاحًا معينًا، مهما تحاول فتحه بغيره كانت محاولاتك عبثًا لا فائدة منها، ولا طائل ورائها إلا إضاعة الوقت والجهد فى تجارب فاشلة.

والشخصية الإنسانية ما زالت أمرًا مجهولاً فى ظل العلوم الإنسانية الحديثة بالرغم من تقدمها وتفوقها، وتحتاج إلى جهد كبير للعثور على مفاتيح أقفالها.

ولكن مفتاح الشخصية الإسلامية على وجه الخصوص هو الدين هو الإيمان، هو عقيدة الإسلام. ومهما نحاول أن نذكى هذه الشخصية، وأن نفجر طاقاتها المكنونة بغير مفتاحها الأصيل – وهو الدين والإيمان – فإننا نحاول عبثا، كمن يبنى على الماء أو يكتب فى الهواء.

نحن قوم مؤمنون، وهذا الإيمان هو أساس شخصيتنا، وسر قوتنا، ورافع رايتنا، هو سر مجدنا فى الماضى، وباعث انتفاضتنا فى الحاضر، ومناط أمالنا فى المستقبل.(١)

فكما يقول الشاعر:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ولا دنيا لمن لم يحى دينا

ومن رضى الحياة بغير دين

فقد جعل الفناء له قرينا

فما أحوجنا إلى المراجعة، والوقوف مع النفس، كلما نفد صبرنا، وضاقت صدورنا، حتى نظل فى الميدان صامدين، وعلى البلاء صابرين، وبالطريق سائرين نزيد إذا نقص الناس، ونصلح إذا فسد الناس بل نصلح ما أفسد الناس.

---

(١) الإيمان والحياة – يوسف القرضاوى.

فلينطلق كل فـــرد حـــسب طاقـــاته

يدعـــو إلى الله إخـــفـــاءً وإعـــلانا

ولنتـــرك اللوم لا نجـــعله عـــدتنا

ولنجـعل الفـعل بعـد اليـوم مـيـزانا

الفصل الثالث
سلوكيات يجب أن تصحح
ابدأ بنفسك

مـقـدرش أقـول إن واحـد يبـقى م الخـلان
وله تصـــرف يخـــالف منهج القـــرآن
لازم نصـــحح سلوكنا ونضـــبط الميـــزان
ويكون مـيـزان العـمل بالحـجـة والبـرهان

* * *

ابدأ بنفـسك وصلح كل عـيب فـيـهـا
وشـوف بعـينك نواحى الضـعف داويـهـا
والزم حـــدود الشـــريعـــة والتـــزم بيـــهـــا
واغرس معانى الكمال فى النفس واحييها

* * *

الدعـوة دعـوة مبـادئ مش خطب وخيـال
والدين أسـاسه العـمل مش مـوعظة تنقـال
عايزين فى وقت المحن والشدة نبقى رجال
وتكون حـيـاتنا مَثل خـالد على الأجـيـال

سعد سرور كامل - خواطر مسجون

الذوق سلوك الروح

التذوق هو أحد الحواس الخمس التى يميز بها الإنسان طعم الأشياء بواسطة الجهاز الحسى فى الفم وحركة اللسان.

وإذا كان التذوق هو أحد الحواس الخمس، فإن الذوق هو الحاسة السادسة التى يبثها فى الإنسان حسه المرهف وقلبه الرقيق.

والتأدب فى معاملة الناس هو الذوق الرفيع فمن يحسن معاملته للناس فهو صاحب ذوق رفيع.

ويفسر الذوق بأنه:

«مجموعة الطرق والعادات الشخصية التى تنظم السلوك الملائم فى المجتمع».

وهى سمة تنتشر كأحد وسائل الضبط الاجتماعى بحيث تنظم العلاقات الخارجية للأفراد وبالتالى تنظم حريته الاجتماعية الخارجية.

فالذوق هو الإخلاص حين ترتدى أجمل ثيابها وهو عطر الأخلاق ونفحاتها. والذوق هو قمة الأخلاق حين تتألق فى إنسان، وتتجلى فى أحاديثه وتعاملاته التى تنطوى على أجمل المشاعر وأنبل العواطف. فالذوق حركة من لطائف الروح وصفاء القلب، والذوق هو سلوك الروح المهذبة ذات الأخلاق العالية. ولهذا كان من الضرورى أن يكون هذا الخلق سمة لكل مسلم ملتزم.

ولكن هناك بعض السلوكيات التى يقع فى شباكها بعض الأفراد فلا يستطيعون الفكاك منها فننبه إليها حتى تستطيع أن نتخلص منها.

١ - من آداب اللقاء والوداع :

كثيراً ما يلتقى الإخوة بعضهم مع بعض، فى الصلوات وفى الاجتماعات وفى المواسم والأعياد الإسلامية، بل قد يقابل الأخ أخاه فى اليوم الواحد مرة أو مرتين أو أكثر من ذلك، فيكون العناق والأحضان وتكون القبلات على الوجنات، مما صار سمتًا لتجمعات المسلمين الملتزمين، وعلامة يُعرفون بها، ظانين أن ذلك من أخلاق الإسلام أو على الأقل من دلائل الحب ومظاهر الأخوة.

وهذا السلوك يتنافى مع ما أمرنا به رسول الله ﷺ وهو مما نعلم أن فيه خلافًا معتداً به إذا كان الفرد قادمًا من سفر وطال به العهد، واستدل العلماء فى ذلك بتقبيل رسول الله ﷺ جعفر بن أبى طالب بين عينيه والتزامه إياه عند قدومه من الحبشة والحديث رواه أبو داود بسند صحيح.

وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ فى بيتى فأتاه فقرع الباب فقام إليه النبى ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله.

ومما رواه الترمذى أيضًا عن أنس رضى الله عنه قال:

قال رجل يا رسول الله: الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحنى له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا. قال فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم

إذن هذه الأحضان وهذه القبلات قد تكون مرغوبة أو جائزة فى حالة القدوم من سفر طويل كجعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة أما عن اللقاءات العادية المتكررة بين الرجل وصاحبه وما يصاحبها من تقبيل وأحضان فأمر غير مرغوب

فيه، فيجب على المسلم الملتزم أن يتخلى عن هذا السلوك ويجب على المربى أن يتعهد إخوانه فى هذا الأمر.

وفى السلوك المرفوض نظم أحد الشعراء أبياتًا يظهر مساوئ هذا السلوك(١):

البوس صَبَحْ حدَا كل الناس ... عادة لكن بايخه ولعنه

خدودنا ميت مرة بتنباس ... فى اليوم وبوس مالوش معنى

عندالوداع البوس شغال ... من كل واحد بيودع

وبرضه عند الاستقبال ... نلقى القبل نازلة تطرقع

ناخد المرض ونيجى نعيده ... لغيرنا.. ولا حد شايفنا

والطفل دا من حبنا فيه ... من القبل نهرى خدوده

ياخد المرض منا ونعديه ... ومن المرض يدبل عوده

والست تخرج من بيتها ... عشان تزور عشرين جارة

وكل جارة حبيبتها ... لازم تبوسها بحرارة

تنقل مرض ديه لديه ... ولزوجها ولا تدراشى

صحيح ما تقصدش أذيه ... لكن بقى الجهل الفاشى

٢- من آداب الإخوة:

من القيم الاجتماعية التى دعا إليها الإسلام: الإخاء وإشاعة روح الأخوة وليست الأخوة من النوافل فى الإسلام فقد جعلها الرسول ﷺ الدعامة الأساسية فى البناء بعد الإيمان بالله. وقد رتب الإسلام على إعلان الأخوة طائفة

(١) أبو بثينة.

من الحقوق وأيضًا طائفة من الواجبات، ولكن يلاحظ على بعض الأفراد أن الإخوة عندهم حقوق فقط لا واجبات، وهذا خطأ تربوى خطير ينتج عنه إفراز أفراد ينتسبون للإسلام أضاعوا معانى تلك الأداب الربانية. ومن هذه الأخطاء التربوية:

أ- بين العشم وبين الأخوة فى الله:

روى البخارى: أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع فقال سعد لعبد الرحمن: إنى أكثر الأنصار مالاً فاقسم مالى نصفين، ولى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لى أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك.... أين سوقكم؟

وإعجاب المرء بسماحة (سعد) لا يعدله إلا إعجابه بنبل عبد الرحمن، إيثار نادر قل أن تعرف الدنيا له نظيرًا، يقابله تعفف كريم نبيل، فرصة سهلة جاءت على طبق من ذهب للزواج والثراء لا تعب ولانصب فلم ينتهزها.

ولكن العجب اليوم أن نرى أن مفهوم العشم والحب فى الله تعالى عند البعض قد تجاوز العرف والعقل والمنطق.

لقد تغيرت المفاهيم عند البعض عن الحق والواجب والرجولة والتعفف وحدث لها خلط ومتغيرات إلى حد مخجل، فلم يعد يفرق أحدهم بين الفضل الذى يقدمه صاحبه متفضلا ومتطوعًا وبين الحق الذى لا يخجل الإنسان من أن يطالب به، ولم يعد يفرق البعض بين قبول المساعدة على مضض من الآخرين، وبين استمراء واستسهال الأخذ دون العطاء.

فعن أبى بشر قبيصة بن مخارق رضى الله عنه قال:

تحملت حَمالة: فأتيت رسول الله ﷺ أسأل فيها فقال:

أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها.

ثم قال: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجلٌ تحمل حمالة، فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك.

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة، حتى يصيب قواماً من عيش.

ورجلاً أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه، لقد أصابته فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش.

فما سواهن من المسألة يا قبيصة يأكلها صاحبها سحتا. [رواه مسلم].

وجمهور كبير من الناس يعيشون فى حدود مطالبهم الخاصة، فإذا كانت لهم حاجة اشتد احساسهم بها، وطال إلحاحهم فى قضائها، ولا يزالون يسعون وراء الذى لهم أو ما يرون أنه لهم حتى يدركوه عن آخره، بل يزيدون ويغالون.

أما إذا كان عليهم شئ فهم يذهلون عنه، وقلما يذكرونه إلا إذا طولبوا به وأزعجوا إليه، فإذا أدوه بعد ذلك فهو أداء ناقص مبتسر..

- فبعض الأفراد يكلفون إخوانهم مالا يطيقون.
- وبعضهم يأخذ من الآخر بعض الأشياء أو الحاجات بدون رضاه، وهذا الآخر قد يمنعه الحياء من الرفض أو محاولة استرداده بعد ذلك.
- والبعض يفاجئ إخوانه بالزيارة، فتكون غير متوقعة وغير محبوبة، فيحدثون حرجًا للمضيف لظروف أسرية أو مادية أو ضيق فى السكن.

- وبعض الأفراد يطرقون أبواب إخوانهم فى وقت غير مناسب ليلاً، لا لضرورة وإنما للزيارة فقط! أو يتصلون بالهاتف لمجرد الاطمئنان والسؤال فإن لم يرد عليهم أحد يصرون على تكرار الاتصال غير عابئين براحة الآخرين.

- وآخرون يستعيرون من إخوانهم كتبًا أو أجهزة منزلية، ثم لا تعود مهما ذكَّره بها أخوه، وإن عادت تكون قد أصابها أو أصاب بعضها التلف.

تلك أمثلة قليلة من السلوكيات الاجتماعية المرفوضة التى يجب أن يتخلى عنها الفرد المسلم الملتزم وأن يتنبه إليها المربون ليقوّموا سلوكيات الأفراد تجاهها.

ب- الإيثـــار:

يروى العدوى كما جاء فى القرطبى: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى، ومعى شئ من الماء، وأنا أقول إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا برجل يقول: آه.. آه فأشار إلىَّ ابن عمى أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول: آه.. آه فأشار هشام أن انطلق إليه فإذ هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات، ولم يشرب أحدٌ الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه.

ومعنى الإيثار: أن يقدم الأخ أخاه على نفسه فى كل ما يحب، فهو يجوع ليشبع أخوه، ويظمأ ليرتوى أخوه، ويسهر لينام أخوه، ويجهد ليرتاح أخوه، ويُعَرِّضُ صدره للرصاص ليفدى أخاه.

ولكن البعض قام بتسطيح هذا المعنى وإفراغه من معانيه، فظنوا أن الإيثار أن يرفع أحدهم قطعة من الطعام الموجود أمامهم فيضعها فى فم أخيه، أو يتنازل له

عن شئ تافه القيمة، هو لا يحتاجه أصلاً.

إن الإسلام جعل «الأخوة» نظامًا عادلاً تصان به الحقوق والواجبات، ويتم فيه تبادل العاطفة على نحو يرقى بالإنسان، ويجمع بين ما ينشده لنفسه، وبين ما يجب عليه للآخرين.

ولعل من خير ما قيل فى آداب الأخوة ما نقله صاحب «قوت القلوب»:

«ليكن صاحبك من إذا خدمته صانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك وإن مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سدها، وإن سألته أعطاك، وإن سَكَتّ ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، وإن قلت صدق قولك، وإن تنازعتما آثرك.

إن صديقك هو من يسد خللك، ويستر زللك، ويقبل عللك، ومن حق الصديق عليك أن تتجاوز له عن ثلاثة:

عن ظلم الغضب، وظلم الهفوة، وظلم الدالة».

إن إفراغ الأخلاق والآداب الإسلامية من معانيها السامية أو قصرها على مفاهيم ومعانٍ ضيقة آفة خطيرة أصابت كثيراً من المنتسبين للإسلام، إما تخففًا من أثقال تبعاتها، وإما قصوراً فى الفهم. وكلا الأمرين يحتاج إلى تصحيح ومراجعة من قِبَل الأفراد وكذلك من المربين.

جـ- النقد بين التقويم والتجريح (*)

فى حلقة دراسية انعقدت فى المدينة لتدريب وتفقيه الجيل الجديد من رجال دولة الإسلام حاضر الفقيه (عبد الله بن حكيم) فقال:

(*) العوائق - محمد أحمد الراشد.

« لا، أُعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان ».

وكانت كلمة مثيرة منه حقًا، ما لهذا الشيخ البرئ المؤمن الذى لم يرفع فى وجه عثمان سيفًا يتهم نفسه، ويلومها على ما لم يفعل؟ وينبرى جرئ لسؤاله: يا أبا معبد: أوَ أعنت على دمه؟

فيقول: إنى لأرى ذكر مساوئ الرجل عوناً على دمه.

إنها حساسية النفس الصادقة تجاه كلمات النقد التى تقال، وقد يقولها بلهجة المحب وما فيها من الرفق واللين ومع ذلك ينتج عنها من المفاسد ما ينتج، فكيف لو كان النقد بلفظ ردئ أو بلهجة عنيفة.

فلا تكن غافلاً أخى المسلم فإنها مصائد الشيطان من حولك، يدفعك إليها لتسفك دم إخوانك.

وقد يأتى بعض المسلمين يملئون مجالسهم تدقيق كلام ومحسنات ألفاظ، ولئن سألتهم لم التدقيق ولم المحسنات؟ ليقولن: نريد الفقه ونبغى الوعى ونتقن الإصلاح وهم بذلك قد أخطئوا من حيث أصابوا، واختلط الحق الذى ذهبوا إليه بباطل من مخالفة أحكام الإسلام، فإنهم تمسكوا بفرع على حساب الأصل، ودندنوا حول سنن قد تفوت معها فرائض الأخوة. ولو تأملوا بهدوء وحسبوا ووازنوا لعرفوا أن لقاء المتحابين الهادئ تحت جناح التحابب والاحترام المتبادل خير من طلبٍ صاخبٍ للوعي وإتقان الفقه والإصلاح.

فقد خاطب الله تعالى المؤمنين بقوله:

﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

فلابد من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله ﷺ حتى تستشعر توقير كل كلمة منه وكل توجيه، وهى لفتة ضرورية، فلابد للمربين من وقار، ولابد للقائد من هيبة، وفرق بين أن يكون هو متواضعًا هينًا لينًا، وبين أن ينسوا هم أنه مربيهم فيدعوه دعاء بعضهم ببعض. يجب أن تبقى للمربى منزلة فى نفوس من يربيهم يرتفع بها عليهم فى قرارة شعورهم ويستحيون هم أن يتجاوزوا معها حدود التبجيل والتوقير.

فإننا نرى اليوم أصنافًا من الأفراد لسانهم كالمطارق، يقذفون الكلمات كالحمم البركانية إن لم تصب الأجساد فإنها تشوى الأرواح، يلمزون ويغمزون إخوانهم، وينظرون بأعين مريضة، ويستعملون عدسة مكبرة فلا يرون إلا صغائر الغير فيهولونها ويبالغون فى إظهارها، وهم يعلمون أنهم لو وزنوا غيرهم بصوابهم كما يزنونهم بأخطائهم لوجدوهم أفضل منهم بكثير، وأنهم فى حاجة لأنهم يجلسوا أمامهم جلسة التلميذ أمام أستاذه، ولكنهم يريدون من إخوانهم ومربيهم أن يكونوا مثالاً لا تشوبه شائبة، دون أن يحاولوا أن يرتقوا هم بأنفسهم، إن الأمر لا يعدو أن يكون كما قال الخليفة لرعيته:

«أنصفونا يا معاشر الرعية، تريدون منا أن نسير فيكم سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرة رعية أبى بكر وعمر».

وإياك أخى الحبيب:

أن تستدرج إلى وادى الأذى متوهما القيام بمهمة وعظ الآخرين فإن التشهير يزيل نبل الموعظة.

قال الشافعى رضى الله عنه:

من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

وقيل لمعسر:

أتحب مَن يخبرك بعيوبك؟

فقال: إن نصحنى فيما بينى وبينه فنعم، وإن قرعنى بين الملأ فلا.

فإن وخزات القول الجارح أوجع من وخزة السنان، وتذكر كيف تعمد شركات الطيران إلى تصحيح الأمور مع طياريها، فإن قائد الطائرة الذى يقوم بعملية الهبوط يعطى مثالاً جيداً على النقد الناجح، إن طيرانه يتعرض على الدوام للانتقاد أو التصحيح من قبل برج المراقبة، فإن ابتعد عن المسار الموضوع لا يتردد برج المراقبة فى إحاطته بذلك فإذا نزل بانخفاض شديد يقوم البرج بإعلامه بذلك. وإن كان سيتجاوز المدرج يقوم البرج بالتصحيح، ومع ذلك لم نسمع أبداً أن أحداً من الطيارين قد شعر بالحرج من هذا النقد.

وحتى يقوم النقد بأداء دوره وينجح فى تحقيق أهدافه فعليك باتباع ما يأتى:

- ينبغى للنقد أن يتم فى سرية مطلقة.
- قدم لنقدك بكلمة رقيقة أو ثناء لطيف.
- اجعل النقد غير شخصى، قم بنقد التصرف وليس الشخص.
- قدم كيفية تصحيح محل النقد.
- انتقد الخطأ الواحد مرة واحدة فقط.

– اختم النقد بطريقة توحى بالحب والمودة.

فيا أخى:

كن عادلاً واقعيًا –فإنك تريد من القادة والمربين إنجازا لعله الآن فى مثل صعوبة فتوح أبى بكر وعمر، وأنت لا تهب دعوتك ما وهبه جند أبى بكر وعمر.

شرط بشرط، من أراد أميراً كأبى بكر فليكن كخالد وسعد وأبى عبيدة رضى الله عنهم أجمعين.

* * *

أنت... والتليفون

(المشهد الأول)

يدق جرس التليفون فيرفع معاذ السماعة:

معاذ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - مين حضرتك؟

مهاب: وعليكم السلام... من أنت؟

معاذ: حضرتك الذى تطلب المكالمة!

مهاب: من الذى يتحدث... من أنت؟

ويستمر الحوار على هذه الصورة التى تتكرر فى المنزل أو فى العمل وتكون النتيجة أن يغلق أحدهم التليفون ساخطًا ومخطئًا الطرف الآخر.

وهذا المشهد يتكرر وذلك لغياب آداب الاستئذان من حياتنا، فإنه من الواجب على الذى يدق جرس التليفون شأنه شأن من يدق الباب، أن يعلن عن اسمه أو صفته أو كنيته.

وذلك لما جاء فى الصحيحين فى حديث الإسراء المشهور قال رسول الله ﷺ «ثم صعد جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح (قرع الباب) فقيل من هذا؟ قال: جبريل. وقيل ومن معك؟ قال محمد: ثم صعد بى إلى السماء الثانية والثالثة وسائرهن ويقال فى باب كل سماء مَن هذا؟ فيقول: جبريل.

وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال:

أتيت النبى ﷺ فدققت الباب فقال: مَنْ ذا؟

فقلت أنا، فقال عليه الصلاة والسلام: أنا! أنا! كأنه كرهها.

وقال ابن كثير: وإنما كره ذلك، لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو بكنيته التى هو مشهور بها.

وإلا فكل أحد يعبر عن نفسه بأنا، فلا يحصل من الاستئذان المأمور به.

(المشهد الثانى)

معاذ: طب نقول السلام عليكم

مهاب: عليكم السلام ورحمه الله وبركاته

معاذ: ألف سلامة – مع ألف سلامة

مهاب: فى أمان الله – ويبقى موعدنا غداً كما اتفقنا

معاذ: إن شاء الله.. فى رعاية الله

مهاب: شكراً ألف شكر مع السلامة

معاذ: إلى اللقاء مع السلامة.. ألف سلامة

مهاب: سلام... مع السلامة.

يحدث هذا فى كثير جداً من حوارتنا الخاصة عند إنهاء الحوار التليفونى فيما بيننا. وهذا ما يسمى (بتزييت عجلة الحوار)(*) أو استرسال العلاقة وهى من الواضح أهم عندنا من قيمة الإيجاز.

فهناك قواعد وأسس يجب أن يلتزم بها من يريد استخدام جهاز التليفون، سواء كان هذا الجهاز ملكاً له أو ملكا لآخرين، وسواء تم هذا فى منزله أو فى

(*) مقدمة فى التفاوض الاجتماعى د. حسن وجيه.

مكان عمله أو فى مكان عام أو لدى أحد الأصدقاء أو الجيران أوالمعارف.

- فعليك بقدر الإمكان اختيار الوقت المناسب للحديث التليفونى، فلا تطلب أحداً بالتليفون مبكراً فى الصباح أو متأخراً بالليل إلا إذا طلب منك ذلك فى حالة الضرورة القصوى.

- اذكر اسمك دائما حتى لو كنت تطلب صديقاً حميما فلا أحد يحب أن يستمع إلى ثرثرة فارغة لمدة ربع ساعة قبل أن يتعرف إلى الصوت.

- لا تطلب مَن تتعامل معهم فى العمل فى بيوتهم إلا فى حالة وجود أزمة حقيقية، وتذكر أن لهؤلاء أيضاً حياتهم الخاصة والعائلية مثلك تماماً.

- ضع نفسك مكان الذى تطلبه واختر أنسب الأوقات التى تلائمه، لاتفرض على الآخرين المحادثات وقت فراغك.

- إذا طلبت شخصاً ولم يكن موجوداً، فلا تترك له رسالة إن « فلانا اتصل » لأنه يمكن أن يعرف عشرين شخصا بهذا الاسم، وإنما اذكر اسمك ثنائياً، ولاتنس أن تترك رقم تليفونك أيضاً.

- لا تترك جرس الهاتف يدق طويلاً، إنما بادر إلى رفع السماعة ورد على المتحدث فى أدب، ولاحظ أن ترك الجرس يدق أكثر من ثلاث مرات قبل ردك يعكس الكسل والإهمال واللامبالاة.

- عندما تتحدث فى التليفون يجب أن يكون صوتك مسموعاً وسطاً لا هو خفيض ولا هو عال.

- إذا اضطررت لترك شخص يتكلم على التليفون فقل له « دقيقة من فضلك » فالناس يكرهون أن يكتشفوا أنهم كانوا يتحدثون إلى الهواء.

- إذا كان التليفون المستخدم ليس تليفونك، وإنما هو خاص بأحد الأصدقاء.

فليس من اللائق - حتى وإن استئذنت فى ذلك - استخدامه فى إجراء مكالمات دولية أو محلية مرتفعة القيمة.

- لا تستخدم الهاتف فى تهنئة من هم أكبر منك سناً وإنما يجب تهنئتهم شخصياً.

- من المستحسن ألاتقدم العزاء تليفونياً. إلا إذاكان فى بلد آخر.

- الدردشة فى التليفون أمر غير مستحب بالمرة، ولا ينبغى أن تزيد مدة المكالمة بحال من الأحوال على خمس دقائق. فإذا كانت ستزيد لأكثر من ذلك فمن الواجب أن تسأل المتحدث إذا كان لديه وقت أطول لمتابعة هذا الحديث الهام.

- علم أطفالك عدم تقديم أية معلومات لأى إنسان يتصل تليفونيا أثناء وجودك فى الخارج، وعلمهم ألا يتحدثوا مع الغرباء أو يصفوا لهم ما بداخل البيت، أو نشاطهم داخله.

- إذا اتصلت بصديق ورد عليك أحد أفراد أسرته، ابدأ معه حواراً مختصراً للسؤال عن حاله قبل أن تطلب منه إبلاغ صديقك بأنك تريد محادثته.

- إذا كان فى بيتك ضيوف وجاءت مكالمة لأحدهم فيجب عليك ألا تسأل من المتحدث، لأن ذلك يعنى تدخلاً منك فى شئون الآخرين.

- إذا استخدمت الهاتف الموجود بالأماكن العامة فكن مقدراً لوقت من حولك ومحترماً لهم، فلا تستخدم الهاتف إلا فى مكالمات مختصرة، وأرجئ المكالمات الطويلة لحين عودتك إلى البيت.

- أغلق الهاتف المحمول عند دخولك إلى مكان العبادة أو قاعة المحاضرات والندوات أو حين حضورك اجتماعاً هاماً.

- إذا كان من المهم أن تتحدث فى الهاتف المحمول فى مكان عام فعليك بخفض صوتك قدر الإمكان.

- لا تتحدث فى الهاتف المحمول وأنت تسير فى الشارع أو تقود سيارتك.

والواجب علينا أن نعيد تقييم أدائنا فى حواراتنا، وفى طريقة أداء أعمالنا دون فقدان قيمة الوقت الثمين.

والسقوط فى براثن الإسهاب والتكرار غير المفيد؟!!

* * *

فن الاستقبال

إن إحياء الأسر المسلمة لفنون الاستقبال من شأنه أن ينعش ويبعث على الحيوية ويزيد فى الألفة والمودة ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

فمن ذلك حسن استقباله لابنته.

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت:

« ما رأيت أحداً كان أشبه حديثاً وكلاما برسول الله ﷺ من فاطمة رضى الله عنها، وكانت إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده، فرحبت به وقبلته، وأجلسته فى مجلسها.

وهكذا كانوا يستقبلون النبى ﷺ فعن ابن عباس رضى الله عنهم قال: « لما قدم النبى ﷺ مكة استقبلته أغيلمة بنى عبدالمطلب فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه ».

ومن حرص الرسول ﷺ على حسن استقبال الزوجة لزوجها أنْ نهَى الأزواج عن مفاجأة الزوجة بعد سفر كما فى قوله ﷺ « إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً ».

وقال: « أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً - أى عشاء - لكى تمتشط الشعثاء وتستحد المغيبة ».

قال ابن حجر: يقع للذى يهجم بعد طول الغيبة غالبا ما يكره. فقد يجد

أهله على غير أهبة من التنظيف والتزين المطلوب من المرأة فيكون ذلك سبب النفرة بينهما.

وفى حديث ابن عمر:

قدم النبى ﷺ من غزوة فقال:

«لا تطرقوا النساء، وأرْسَلَ من يُؤذِنُ الناس أنهم قادمون».

وتحكى السيرة لنا حسن استقبال السيدة خديجة رضى الله عنها لزوجها الرسول ﷺ بعد أن رأى جبريل فى غار حراء قائلاً له: «اقرأ» ثلاثا وفى كل مرة يغطه غطة مجهدة فرجع الرسول يرجف فؤاده، فدخل على خديجة رضى الله عنها فقال:

زملونى، زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجة: كلا والله ما يخذيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق.

وما أروع استقبال أم سليم لزوجها أبى طلحة يوم أن توفى ابنهما حيث قالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم صنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب بها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم قال: لا . فقالت: فاحستب ابنك. فلما أخبر الرسول ﷺ بما جرى قال: بارك الله فى ليلتكما.

إن الله عز وجل لفت نظرنا إلى أهمية الاستقبال عندما بيَّن أن من نعم الجنة

حسن الاستقبال كما فى قوله:

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٣١].

ثم قال سبحانه وتعالى:

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [ق: ٣٤].

وقال سبحانه:

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

والنبى ﷺ جعل خلق إكرام الضيف وحسن استقبال الآخرين خلقا من أخلاق الإيمان فعن أبى شريح خويلد بن عمرو رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ».

وكان إكرام الضيف من أخلاق العرب التى فطروا عليها، فقد كان حاتم الطائى فى هذا الكرم فى الذروة، حتى إننا نراه يؤنب ولده عدياً لأنه ضرب كلبة له تدل الضيفان عليه فقال له يوما.

أقـــول لابنى وقـــد سطَّت يداه
بكلبـــة مـــا يزال يجلدها
أوصـيك خـيـرا بهـا فـإن لهـا
عندى يداً لا أزال أحـمـدها
تدل ضـيـفى علىَّ فى غلس الليل
إذا النـار نـام مـوقـدها

ومن مجموع الأحاديث التى وردت فى هذا الأمر تبدو لنا منظومة من الآداب التى يجب علينا أن نحييها بيننا.

- استقبال الضيف... بالبشاشة عند عتبة المنزل كنوع من الاهتمام به.

فكما يقول حاتم الطائى واصفا حاله مع ضيوفه:

أضاحِك ضيفى قَبْلَ إنزال رحْله
ويَخْصبُ عنْدى المحلُ جَديبُ
وما الخِصبُ للأضياف أن تُكْثِرَ القِرَى
ولكنما وَجْهُ الكريم خصيب

والنبى ﷺ يوجهنا إلى أن

«تبسمك فى وجه أخيك صدقة»

- أن تأكل مع الضيف الذى يستحى أن يأكل وحده: إنها مؤانسة تذهب بوحشة الضيف الذى لو أكل وحده لكان فى نقطة الضوء... تراقبه العيون.

- من السنة مباسطته، ففى هذه المباسطة حتى لو ألقى إليه بالوسادة تلطفاً وتوداً.

روى الحاكم أن رسول الله ﷺ قال:

«ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى إليه وسادة إكراماً له إلا غُفر له».

- تشييع الضيف إلى باب المنزل، وإن كان شخصية مهمة فإلى منزله إن كان ذلك فى الإمكان كما كان يفعل ﷺ مع كبار زواره.

ففى سنن البيهقى:

أن رسول الله ﷺ قال:

«إن من السنة تشييع الضيف إلى باب الدار».

وحسبك ما جاء فى القرآن الكريم ما حكاه سبحانه وتعالى من قصة الخليل عليه السلام. قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧].

وانظر إلى فن الخليل إبراهيم فى استقبال ضيوفه.

- بشاشة الوجه.

- استقبالهم فى أحسن الأماكن.

- راغ: حركة سريعة سرية حتى لا يشعر الضيف - فيكفُّه.

- ثم انتقى أغلى ما عنده - بلا تكلف!

- ووضعه بين أيديهم.

- ثم تلطف .. ولم يكف: (ألا تأكلون)؟

- بمجرد السلام.. بدأ الكرم مع أنه لا يعرفهم.

- كان الطعام وفيراً مع أنهم كانوا ثلاثة.

وتقول الروايات: أنه قام على رءوسهم يخدمهم بنفسه مبالغة فى إكرامهم.

وكما أن الإسلام بين لنا حقوق الضيف فإنه لم يغفل واجباته تجاه مضيفه ومستقبِله، حين حدد مدة الإقامة التى تتراوح بين يوم وليلة وثلاثة أيام حتى لا يتضرر المضيف.

فقد قال رسول الله ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يُحرجه» [رواه البخارى ومسلم].

* * *

الإحساس نعمة

الشخصية الإسلامية الاجتماعية فى أبسط صورها شخصية خيرة، أساسها الفطرة الطيبة والقيم الأصيلة، والأخلاق الفاضلة، والذوق الرفيع الذى يراعى مشاعر الآخرين، فهو يترفع عن السلوكيات الخاطئة التى لا يراعى فيها المسلم أخاه المسلم ولا يهتم فيها إلا بمصلحته فقط.

فهذا رسول الله ﷺ يرى وهو على المنبر رجلاً يدخل ثائر الرأس كأنه شيطان فلا ينهره ولا يفضحه ولا يفعل معه سوى أن يشير إليه مراعيا إحساسه وشعوره فيفهم الرجل ويذهب ليصلح من نفسه.

وعندما يضحك بعض الصحابة على دقة ساقى الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» وكان نحيفاً جداً فيرد عليهم النبى ﷺ:

«أتعجبون من قدم ابن مسعود، والله إنها لتزن عند الله أثقل من جبل أحد».

يا لها من عظيمة تلك الشخصية التى تراعى مشاعر الآخرين وأحاسيسهم فلقد كان رسول الله ﷺ يخفف فى الصلاة عندما يسمع بكاء صبى رحمة بأمه.

ويدافع عن سيدنا بلال رضى الله عنه عندما يقول له سيدنا أبو ذر رضى الله عنه: يا ابن السوداء فيقول له النبى ﷺ:

إنك امرؤ فيك جاهلية، فيعتذر له أبو ذر.

وكثيراً ما كان يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، ولا يصرح بأسمائهم حفاظاً على مشاعرهم.

ولقد بلغ من رفق النبى الكريم بالناس حين يدعوهم إلى الخير أنه لا يواجه المسىء بإساءته حرصا على مشاعره أن تخدش وعلى كرامته أن تهان، بل كان يلجأ إلى التورية فى استنكار إساءته وتنبيهه إلى سوء فعلته.

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها:

«كان النبى ﷺ إذا بلغه عن رجل شىء لم يقل ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا» «حياة الصحابة».

والمسلم التقى الواعى أحكام دينه، مرهف الحس، دقيق الملاحظة، يحترم مشاعر الناس ومن ثم لا تنقصه اللياقة فى الحديث.

ومن أوليات هذه اللياقة ألا يتناجى مع آخر وبينهما ثالث كما جاء فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجَ اثنان دون الآخر، حتى تختطلوا بالناس، من أجل أن ذلك يُحزنه» «متفق عليه».

وتمعن فيما رواه الإمام مالك فى الموطأ عن عبدالله بن دينار قال:

«كنت أنا وابن عمر عند دار خالد بن عقبة التى فى السوق فجاء رجل يريد أن يناجيه، وليس مع ابن عمر آخر غيرى، فدعا ابن عمر رجلاً آخر، حتى كنا أربعة فقال لى وللرجل الثالث الذى دعا: استأخرا شيئاً، فإنى سمعت رسوله الله (ﷺ) يقول: لا يتناج اثنان دون واحد.

ولكننا اليوم نرى كثيرا من الناس لا يهتمون إلا بأنفسهم، ولا يقيمون وزنا

للآخرين ولا يكترثون بهم ولا يفكرون فيهم، وهم يفعلون ما يحلو لهم، بغض النظر عما قد يلحقه تصرف من تصرفاتهم بأضرار للغير، لأن «الغير» عندهم لا وجود له، وإن وجد فليس له اعتبار وليست له حقوق ينبغي مراعاتها وعدم التعدى عليها.

ومن الأمثلة التى نراها:

- ما يحدث فى منازلنا وهو أن أعمال التكسير والدق والتشطيبات والتعديلات لا تراعى وقتاً يحتاج الجيران فيه للراحة، بل ربما لا يعترف بهم على الإطلاق من واجب الاستئذان أو الإخبار.
- ما يحدث من بعض الأبناء من ضوضاء وصخب وارتفاع أصواتهم، وارتفاع صوت المذياع وغيره دون لفت أنظارهم من قبل آبائهم.
- ما نراه من إقامة سرادقات الأفراح أو العزاء فى الشوارع مع الإصرار على استخدام مكبرات الصوت ذات الترددات العالية دون مراعاة للآخرين فمنهم من يحتاج للراحة، ومنهم من يحتاج للمذاكرة ومنهم ومنهم....
- ومن الإحساس المطلوب الاستئذان والاستئناس قبل الدخول إلى بيوت الآخرين وزيارتهم وهذا أدب رفيع مشرق بنور الله ﴿**لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النور: ٢٧].

إن حساسية البعض بمثل هذه المواقف قد تبلدت، وإن الرجل ليهجم على بيت أخيه، فى أى لحظة من ليل أو نهار، يطرقه بعنف ويزعج أهل البيت، ويضطرهم إلى استقباله، كما يطرق البعض بيوت الآخرين فى وقت الطعام بلا إخطار ولا هاتف. ثم لا يقبل أن يُردَّ عن البيت، مهما كره أهل البيت تلك

المفاجأة، فإن لم يُقدم لنا الطعام وجدنا فى أنفسنا من ذلك شيئاً، وقد نطرق غيرنا فى وقت متأخر من الليل، فإن لم يدعونا إلى المبيت عنده وجدنا فى أنفسنا قبل أن نقدر موقفه وعذره. إن المسلم لا يكون سمجا أبداً ولا ثقيل الظل، ولا فاقداً للذوق بل هو حى الضمير مرهف الحس، صديق للحق وأهله عدو للباطل وأهله(١).

- ومن الإحساس اتباع آداب الاعتذار، مع اقتناعنا بأن الاعتذار ليس تقليلا من قدر الفرد، لأن الاعتذار دليل على أنك شخص ذكى ورقيق الحس، وعندك القدرة على استيعاب الآخرين.

- ومن الإحساس قبول اعتذار الآخرين لك فقد قال رسول الله (ﷺ).

«من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس».

وفى رواية: «من تُنُصِّل إليه فلم يقبل، لم يَرِد على الحوض» [الطبرانى].

وهذه بعض الأمثلة التى يجب أن نلتفت إليها فى تعاملنا مع الآخرين، وهى لا تدل إلا على ذوق رفيع وإحساس بالآخرين وشعور بهم.

- عدم السخرية من ملابس أحد أو الضحك على كلامه وحركاته أو تقليده.

- عدم سؤال أحد عن المكان الذاهب إليه.

- عدم النصح أمام أحد.

- إذا استعار منك أحد شيئاً لا تخبر أحداً به.

- الزيارة بموعد مسبق ولا تكون مفاجئة ولا في وقت متأخر.

---

(١) نظرات فى الصفات الإيمانية والأخلاقية - محمد عبدالله الخطيب.

- عدم الإطالة فى الزيارة خاصة زيارة المريض.
- إذا استعرت جريدة من أحد فلتعطها له منظمة بترتيب صفحاتها.
- لاتقاطع متحدثا أبداً.
- لا تأخذ من جيب أحد شيئاً بغير إذنه.
- لا تقرأ فى كتاب أو ورقة خاصة بأحد من غير إذنه.
- أن تتجنب دائما إحراج الآخرين.
- عدم قذف ورق أو أى شىء من نافذة البيت أو السيارة.
- لتقل دائما: حضرتك وسيادتك ولا تقل أنت.
- عدم رفع صوت المذياع أبداً ولو كان القرآن الكريم.
- لاتطلب من أحد أن يعزمك على أى شىء.

هذا قليل من كثير، نستطيع أن نتمثله فى سلوكنا الاجتماعى مع الآخرين.

الفصل الرابع
هل أنت إنسان اجتماعى؟

يقول مالك بن نبى:

«إن صنع التاريخ يبدأ من مرحلة الواجبات المتواضعة فى أبسط معنى الكلمة، والواجبات الخاصة بكل يوم، بكل ساعة، بكل لحظة لا فى معناها المعقد كما يعقِّده أولئك الذين يعطلون جهود البناء اليومى بكلمات جوفاء وشعارات كاذبة يعطلون بها التاريخ بدعوى أنهم ينتظرون المعجزات والساعات الخطيرة».

ومن هنا يتبين لنا أن كل لحظة يبذل فيها الفرد المسلم واجبه فإنه يسهم فى بناء الحياة الإسلامية، والإنسان الفعال هو الذى يستعمل الوسائل المتاحة له ويستخرج أقصى ما يمكن أن يستخرج منها من النتائج فيطبع صورته وتصوراته ومعتقداته وقيمه على الحياة التى يعيش فيها، فتكون عليها نضارة الإسلام، بروعة تعاليمه، وبهاء شرائعه، وكمال أحكامه وذلك:

بإفشائه السلام

وعيادة المريض

وتشميت العاطس

واتباع الجنائز

انشر الشذى فى كل مكان

الوردة الأولى: إفشاء السلام

من أدب المسلم الاجتماعى المميز إفشاؤه السلام، وإفشاء السلام فى الإسلام ليس تقليدا اجتماعيا تعوّد عليه الناس فى عصورهم المختلفة، وإنما هو أدب محدد منظم أصيل أمر به رب العزة فى كتابه الحكيم، ونظمه ووضع قواعده الرسول الكريم فى أحاديثه الغزيرة التى أفردها المحدّثون بباب مستقل سموه «كتاب السلام» أو «باب السلام». لقد أمر الله تعالى المؤمنين بالسلام فى كتابه فقاله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٦١].

وجاء الهدى النبوى غزيراً يحض على إفشاء السلام وإسماعه مَن تعرف ومَن لا تعرف.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام، وتَقرأ السلام على مَن عرفت ومن لم تعرف» [متفق عليه].

وكان السلام أحد الوصايا السبع التى أمر رسول الله ﷺ صحابته ليلزموها فى حياتهم الاجتماعية، وتلتزمها الأمة الإسلامية من بعدهم.

فعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة

المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم » [متفق عليه].

ولقد أعطى الرسول الكريم قضية السلام جانباً كبيراً من اهتمامه، وحض على تطبيقه، وحبب فيه فى قسم كبير من أحاديثه، لما كان يعلم من أثره الكبير فى تفجير ينابيع الحب فى النفوس، وتوثيق عرى القلوب، وإحكام وشائج الود والتقارب والتصافى بين الأفراد والجماعات حتى إنه جعله سبب المحبة التى تفضى إلى الإيمان الموصل للجنة.

« والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أوَ لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم » [رواه مسلم].

وجعل أولى الناس بالله ومرضاته ونعمه من يبدأ الناس بالسلام:

« إنَّ أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام ». [رواه أبو داود، الترمذى].

ولذلك كان عبدالله بن عمر رضى الله عنه يغدو إلى السوق فلا يمر على أحد إلا سلم عليه.

وسئل يوماً: ما تصنع فى السوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل السلع، ولا تجلس فى مجالس السوق؟

فقال: « إنما نغدو من أجل السلام على من لقينا ». [البخارى].

وللسلام فى المجتمع الإسلامى صيغة واحدة يلتزمها المسلم الحق الواعى آداب دينه، الحريص على تطبيق هديه المتميز الأصيل وهى « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

ويقول المجيب « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ».

ولا يغنى عن هذه الصيغة الشرعية صيغ أخرى تفشت فى مجتمعات المسلمين فى هذه الأيام.

وللسلام فى الإسلام قواعدأيضا، يحرص المسلم الحق على إتقانها وتطبيقها بدقة فى حياته الاجتماعية، وتتلخص هذه القواعد فى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«يُسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والقليلُ على الكثير» [متفق عليه].

والسلام يكون على الرجال وعلى النساء أيضا، يشهد لذلك حديث أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ مر فى المسجد يوماً وعصبة من النساء قُعودٌ فألوى بيده بالتسليم» [الترمذى].

ويكون أيضا على الصبيان، تعويداً لهم على آداب التحية والسلام فعن أنس رضى الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان رسول الله ﷺ يفعله».

ومن قواعده وآدابه، أن يُلْقَى فى الليل برفق وتُؤَده وخفض صوت، بحيث يسمعه اليقظان، ولا يوقظ الوسنان.

وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ فيما يرويه المقداد رضى الله عنه فى حديثه الطويل قال:

«كنا نرفع للنبى نصيبه من اللبن فيجئ من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً، ويسمع اليقظان. فجاء النبى ﷺ فسلم كما كان يسلم».

ويكون السلام عند الدخول إلى المجلس وحين القيام منه. وفى ذلك يقول الرسول ﷺ:

«إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة» [أبو ذر والترمذى].

* * *

الوردة الثانية: عيادة المريض

المسلم الاجتماعى يعود المريض، ويعد عيادته واجبا إسلاميا حض عليه الدين الحنيف، وليس تفضلاً أو تطوعاً منه، إنه ليزور المريض وملء مشاعره أنه ينفذ أمر رسول الله ﷺ القائل:

«عُودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العانى» [رواه البخارى].

والقائل أيضا يروى البراء بن عازب رضى الله عنهما:

«أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعى، وإفشاء السلام» [متفق عليه].

وقد تأصلت هذه العادة الاجتماعية التى أرسى قواعدها الرسول الكريم فى حياة المسلمين، حتى أصبحت حقاً للمسلم على أخيه له أن يطالبه به.

«حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس».

وما أكبرها من شقوه تحيق بالمرء المتقاعس عن هذه العبادة، وما أشدها من خسارة تحل به! وما أبشعها من فضيحة يعلنها رب العزة على رءوس الأشهاد.

«يا ابن آدم مرضت فلم تَعُدْنِى!.. أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده؟».

ولقد كان رسول الله ﷺ يدرك ببصيرته النافذة الخبيرة بالنفس الإنسانية ما لعيادة المريض من أثر نفسى على المريض وعلى آله، ومن ثم كان لا يتوانى فى عيادة المرضى، وإسماعهم أرق عبارات الدعاء والمواساة.

حتى إن نفسه الشريفة لتسمو فتقود خطوه لعيادة غلام يهودى كان يخدمه وفى ذلك يقول أنس رض الله عنه:

«كان غلام يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض، فأتاه النبى ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبى وهو يقول: الحمد لله الذى أنقذه من النار» لم يفت النبى ﷺ وهو يعود هذا الغلام اليهودى المريض، أن يدعوه للإسلام، إذ كان يدرك وقع زيارته الشريفة فى نفس الغلام وأبيه اللذين غمرهما الرسول بكرمه وفضله ولطفه وحسن تأتيه فإذا هما يستجيبان لأمر الرسول الكريم، وإذا العيادة تثمر هداية، ويخرج الرسول الكريم منها ولسانه يلهج بحمد الله أن أنقذ به نفسا من النار.

فيا للرسول الإنسان العظيم!

ويا للداعية الهادى اللبق الحكيم!

ويا للشخصية الاجتماعية البراقة!

* * *

الوردة الثالثة: اتباع الجنائز

المسلم الاجتماعى الواعى يشهد الجنائز فى مجتمعه، ويشيعها امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ القائل:

« حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس ».

إن فى ترغيب الإسلام بحضور تشييع الميت حتى دفنه توطيداً لأواصر الأخوة بين المسلمين، وترسيخاً لمشاعر الوفاء بين أبناء المجتمع الواحد.

إن مشاركة المسلم فى مثل هذه المناسبات دليل على إدراكه الحياة الاجتماعية بأبعادها كافة، فليست الحياة أفراحاً ومناسبات سعيدة فحسب، وإنما هى فرح وترح، سرور وحزن، طرب وكرب، رخاء وشدة، بسمة ودمعة.

والشخص الاجتماعى له مكانه ودوره فى كل هذا، لا يغيب عن جانب منها، إذ له فى كل جانب رسالة يؤديها وكلمة يقولها، وواجب يقوم به.

* * *

الوردة الرابعة: تشميت العاطس

المسلم الاجتماعى هو الإنسان اليقظ المنتبه، الذى لا تمر عليه المواقف والأحداث إلا واستفاد منها وقام بتطويعها لخدمة ما يريد.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى؛ كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله.

وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن

أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان » [البخارى].

وقال ﷺ : « إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فإذا قال له : يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم » [البخارى].

من استعراض هذه الصيغ التى حض النبى ﷺ على قولها فى العطاس يبرز الغرض الكبير منها فى ذكر الله وحده، وتعزيز وشائج الإخاء والمودة والتصافى بين المسلمين.

فالعاطس يحمد الله على تفريج ما اعتمل فى رأسه من تحسسات وتفاعلات وتهيجات، والسامع يدعو له بالرحمة.

وحامد الله يستحق دوما رحمة الله، فيقابل العاطس دعاءَ مشمته بدعاء أطول منه وأشمل يفيض بمعانى الخير والمحبة والود والإيناس.

وهكذا يوجه الإسلام الحوادث العفوية العابرة فى حياة المسلمين ليتخذ منها مناسبات تذكر المسلمين بهم.

وتطلق ألسنتهم بحمده وتعزز فى نفوسهم وشائج الأخوة والمودة والتراحم.

أرأيت أيها الحبيب!

كم من مجال أتيح لك، وكم من باب فُتح على مصراعيه؟

وما عليك إلا أن تلج!

وما بقى إلا أن تعى أين تضع قدمك!

وكيف تنشر شذى عطرك؟

* * *

هل أنت إنسان اجتماعى؟

أرأيت إن كنت تحمل قارورة عطر مغلقة هل يستمتع من حولك بطيب ريحها؟

كذلك الفرد فى مجتمعه لا يُكتفى منه بتقواه وصلاحه ومجموعة الفضائل القاصرة على نفسه بل لابد وأن ينفتح على المجتمع ليجد منه الريح الطيب والخلق والعمل الطيب «وقولوا للناس حسنا..».

وكما قال مصطفى صادق الرافعى:

إن لم تزد شيئًا على الدنيا

كنت أنت زائداً عليها

فكل مسلم مطالب بترك أثر فى هذه الحياة، والمشاركة فيها بنوع من الخير حسب استطاعته. ولا معنى لحياة امرئ سلبى:

فخذ لك زادين: من سيرة

ومن عمل صالح يدخر

وكن فى الطريق عفيف الخطا

شريف السماع، كريم النظر

وكن رجلاً إن أتوا بعده

يقولون: مَرَّ، وهذا الأثر

والرسول جعل الدين المعاملة، والدين النصيحة، والبر حسن الخلق، لذلك

كان التدين عطاءً مستمراً، وإيثاراً مستمراً، وإحساسا مستمراً، وعفواً مستمراً، وحبا مستمراً، ورحمة دائمة.

والمسلم الحق هو إنسان الواجب، الذى لا يرى رسالته إلا فى العطاء، المسلم الحق هو الذى يلتصق بهموم الناس لا يغادرها ولا ينفصل عنها متأسيا برسول الله القدوة الذى بعثه الله رسولا من مجتمعه وقومه.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إن جُل ما أصاب أمتنا من الارتكاس والانحطاط مرده بالأساس إلى السلبية التى اتصف بها بعض منا، والتى نهانا عنها الرسول ﷺ بقوله:

« لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطِّنوا أنفسكم إنْ أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » [الترمذى].

إن الأحاديث التى تحث المسلمين على تبنى هموم الناس ومشاكلهم والتفاعل والتواصل معهم أكثر من أن تُعد أو تحصى.

وقد يقول المسلم بلسانه: إنه مسلم، وإنه مصدق بهذا الدين وقضاياه وقد يصلى وقد يؤدى الشعائر غير الصلاة، ولكن حقيقة الإيمان وحقيقة التصديق تظل بعيدة عنه!

فإن لكل قول حقيقة، ولهذه الحقيقة علامات تدل على وجودها وتحقيقها.

والأسئلة التالية تنتظم مجموعة من السلوكيات الاجتماعية فأجب عنها وامنح نفسك الدرجة التى تستحقها وفقاً لإجابتك فإذا كان مجموع إجابتك:

– أكثر من ١٥٠ درجة فأنت شخصية اجتماعية.

– من ١٢٠ – ١٥٠ درجة فأنت تحاول أن تكون شخصية اجتماعية.

– أقل من ١٢٠ درجة فأنت تحتاج الكثير حتى تكون شخصية اجتماعية.

السؤال	نعم	كلا	أحيانا
١– هل تتناقص سعادتك إذا لم تتصل فى يومك بأحد من أصدقائك؟	١٥	–	٥
٢– هل من الميسور لك أن تعفو وتسامح من يسىء إليك عن غير قصد؟	١٥	–	٥
٣– هل يحبك أطفال الجيران؟	١٥	–	٥
٤– هل من طبيعتك إبداء التلطف مع الآخرين؟	١٥	–	٥
٥– هل تمتعك مصافحة الآخرين؟	١٥	–	٥
٦– هل يسعى إليك الأصدقاء إذا وقعوا فى مأزق؟	١٥	–	٥
٧– هل تشارك جيرانك فى الحى الذى تسكن فيه أفراحهم وأتراحهم؟	١٥	–	٥
٨– هل تشارك فى أنشطة جمعية خيرية فى الحى الذى تسكن فيه؟	١٥	–	٥
٩– هل تشارك فى مجلس إدارة المسكن الذى تسكن فيه؟	١٥	–	٥

١٠- هل شاركت فى مجلس الآباء بمدرسة أبنائك؟	١٥	–	٥
١١- هل تعمل بالمثل القائل: «صباح الخير يا جارى أنت فى حالك وأنا فى حالى؟	–	١٥	٥
١٢- هل تسر إذا استعار جيرانك منك جهازاً منزلياً لاستعماله؟	١٥	–	٥
١٣- هل تسر إذا قامت زوجتك بزيارة جيرانك؟	١٥	–	٥

الفصل الخامس

فى الخطبة والزواج

وإن تـزوجت فـكن حـــاذقًـــا

واســأل عن الغـصين وعن منبـتـه

واســأل عن الصِّـهـــر وأحـواله

من جـيـــرة الحىّ وذى قُـــربتـــه

○○○

فى الخِطبة والزواج

إذا كان الإسلام قد أصلح القلوب، واهتم بشئون الدول والمجتمعات فإنه تعرض للبيت بالإصلاح، ونفذ إليه بالتنظيم، ورفرف عليه بالسعادة، فجاء يرغّب المسلمين فى حياة الأسرة، ويحضهم على الاستقرار ويحببهم فى البيت ومن فيه، ويصفه بأنه نعمة كبرى من نعم الله.

هذا المكان الطيب الآمن الذى فيه الزوجة والأبناء والأمهات والآباء، فيه الراحة بعد التعب والسكون بعد الإجهاد. إن متاعب الحياة لتزول فى البيت المنتظم السعيد، وإن جراح الأحداث لتمر عليها يد المواساة الرحيمة فى البيت المسلم.

وقد تناول الإسلام تنظيم البيت بتنظيم الصلة بين أهله، ولكن عندما ترك المسلمون العمل فى كل شىء، أخذ البيت نصيبه من الإهمال. فأصبح مكانًا بغيضًا يرى الإنسان فى كل مكان الهناء إلا فيه، فاستبدل المؤانسة بالزوجة والأولاد بإخوان السوء، وزملاء الشهوات والشر، وترك زوجة مسهدة منكوبة مجروحة الكرامة، وأبناء بلا رعاية أو عطف أو رقابة، فكان من الطبيعى أن يتطرق الفساد إلى البيت.

وواجبنا أن نأخذ أنفسنا بالحياة الصحيحة وبالأسس الإسلامية القويمة فى بناء أسرنا وأن نكون قدوة فى ذلك، إن كنا نريد أن نكون دعاة جادين فى دعوة الناس لاتباع منهج الإسلام فى الحياة فنؤدى واجبنا نحو البيت، ونستغل الفرصة لإسعاد الزوجة بالعطف وطيب العشرة ورعاية الأبناء والإشراف على تربيتهم،

لأن البيت الصالح هو أساس المجتمع الكامل والأمة القوية الناهضة.

الخطبة:

إن الخطبة إقدام على جمع شملين، ليتكون منهما خلق متكامل قادر على التكاثر ﴿ **وخلقناكم أزواجًا** ﴾.

أى أن الخطبة إقدام على بناء خلق واحد متكامل أساسه هو الأسرة. ولابد لكل بناء من دراسة وحساب وتخطيط وتصميم ضمانًا لسلامة البناء، فلا توضع لبنة صلبة على لبنة هشة فينهار البناء، فما بالنا بمثل هذا البناء المقدس؟ بناء الإنسان الكامل بالزواج، فليست الغاية من الزواج عند المسلم الملتزم مجرد أن يقضى وطره ثم ينتهى كل شىء، إن الغاية من الزواج هى بناء أسرة تحمل لواء الإسلام.

والخطبة لغة وعرفًا وشرعًا شىء غير الزواج، فهى مقدمة له وتمهيد لحصوله، فكتب اللغة جميعًا تفرق بين كلمتى الخطبة والزواج، والعرف يميز جيدًا بين رجل خاطب ورجل عاقد ورجل متزوج، والشريعة فرقت بين الخطبة والزواج تفريقًا واضحًا. فالخطبة ليست أكثر من إعلان الرغبة فى الزواج من امرأة معينة، أما الزواج فعقد وثيق وميثاق غليظ له حدوده وشروطه وحقوقه وآثاره.

والخطبة مهما يقم حولها من مظاهر الإعلان فلا تزيد عن كونها تأكيدًا وتثبتًا لشأنها.

والخطبة على أية حال لا يترتب عليها أى حق للخاطب إلا حجز المخطوبة، بحيث يحظر على غير الخاطب أن يتقدم لخطبتها.

قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر » [رواه أحمد ومسلم].

إجراءات الخطبة :

ينبغى لراغبى الزواج قبل البدء فى إجراءات الخطبة أن يتحققوا من عدم وجود موانع شرعية تمنع من الزواج فى الحال، كأن تكون محرمة عليه بسبب من أسباب التحريم المؤبدة أو المؤقتة، أو يكون غيره قد سبقه إلى خطبتها.

الإجراء الأول : التعرف على من يريد أن يخطب

يجب على الخاطب أن يعيِّن الفتاة التى أراد أن يخطبها واختارها لتكون قرينة له مدى الحياة، فيصبح أهلها أهله، وولدها ولده حتي يستقيم البناء الذى يقدم عليه، وفى هذا يوصينا الرسول ﷺ « تخيَّروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس ».

وقد وضع الإسلام الأسس الصحيحة لاختيار الزوج أو الزوجة فيجب اتخاذ هذه الأسس التى أرشد إليها الإسلام نبراسًا لكل خاطب، يستضىء به ويسير على هداه. وتفاصيل هذه الأسس موجوده فى كتب الفقه وأبواب النكاح يجب العودة إليها.

فإذا أراد الخاطب أن يرى من عَيَّن خطبتها، فيستطيع أن يراها دون أن يُعلمها حتى لا يجرح شعورها وحتى لا يؤذى إحساسها، فبعض الناس يستهترون بذلك حتى سمعنا من بعضهم أنه رأىَ أكثر من عشرين فتاة ولم تعجبه واحدة منهن حتى تزوج، معنى ذلك أنه جرح إحساس أكثر من عشرين فتاة من فتيات المسلمين، فالأولى أن يراها وهى خارجة أو فى بيت قريب لها

دون أن تعلم مَن هذا ولا ما هذا؟

ولقد جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال فى امرأته بعد أن تزوجها: «لقد كنت أتخبأ لها تحت شجرة حتى رأيت منها ما دعانى إلى زواجها».

تمعن فى كلام جابر رضى الله عنه، كان يتخبأ لها تحت شجرة دون أن تعلم، دون أن تراه، هذا هو الطريق السليم.

وعندما نضع قول جابر بن عبد الله أمام أعيننا نستطيع أن نلحظ منه أنه قد عينَّ وحدَّد من يريد خطبتها، ثم تخبأ لها ليراها وليس كما يخطىء بعض الأفراد من أنه يتلصص أو يتخبأ فى المحافل والمناسبات أو الطرقات، فيقلب بصره فى النساء لعله يقع على ما يسر ناظريه ويثلج قلبه، ثم يبحث عمَّن تكون هذه الفتاة؟ وما هو اسمها؟ ومن بيت من؟

وهذه الوسيلة بها من المخالفات الشرعية الكثير أقلها عدم غض البصر وعدم صون الحرمات.

وطالما سمعنا أن أناسًا رأوا فتيات فأعجبهم حسنهن فذهبوا لخطبتهن ممن شاهدوها معه، فكانت المفاجأة! أنها زوجته! وهذه حقيقة وليست مستقاة من مشاهد سينمائية.

ويجب التنبه على أن الاكتفاء بعرض الصورة الشمسية لا يدل على شىء يمكن الاطمئنان إلى الرضى عن الزواج، أو تصور الحقيقة تصورًا دقيقًا.

ويجب على كل خاطب أن يؤمن أنه إذا كان من حقه أن يرى المرأة قبل خطبتها، فإنه أيضًا من حقها أن تراه قبل أن تخطب إليه مادام القصد هو الزواج.

فقد روى أن الشافعي رضى الله تعالى عنه يفضل أن تكون الرؤية قبل الخطبة عند نية الزواج، حتى إذا أنتجت الرؤية إقداماً أقدم، وإن أنتجت إحجاماً لم يكن ذلك إيذاء لهما ولا حرج لأسرتيهما، ولذلك الاستحسان مكانه من اللياقة والعرف، والخلق الكريم يرضاه ويؤيده.

الإجراء الثاني: التعرف على باق الصفات

الحازم هو من لا يدخل مدخلاً حتى يعرف خيره من شره قبل الدخول فيه. قال الأعمش: «كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم».

وهذا الإجراء مكمل لما سبقه، لأن الإجراء الأول يقتصر على الرؤية فحسب، أما هنا فإنه يتسع إلى التعرف على بقية الصفات التي لا يمكن معرفتها بالنظر، بل عن طريق التحري ممن خالطوا العروسين بالمعاشرة أو الحوار أو بواسطة أهل الثقة من الأقرباء.

فقد كان النبي ﷺ يرسل بعض النسوة ليتعرفن بعض ما يخفى من الأمور، فقد بعث النبي ﷺ أم سليم إلى امرأة فقال: «انظري إلى عرقوبها وشمي معاطفها وفي رواية شمي عوارضها» رواه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي.

والمعاطف هي ناحيتا العنق، وأما العوارض فهي الأسنان في عرض الفم والمراد اختبار رائحة الفم.

وقال النبي ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعو إلى نكاحها فليفعل».

فمن هنا كان للخاطب بل ينبغي له أن يرى مخطوبته، وينبغي لأهل الفتاة أن ييسروا له ذلك حتى يراها وتراه هي أيضاً، فمن حقها أن ترفض ومن حقها أن تقبل.

الإجراء الثالث: تقوية الصلات

إذا ما ارتضى كلٌّ من الطرفين الآخر زوجًا له، أصبحت الخطبة مقبولة من الطرفين، وسعى كل منهما إلى تقوية صلاته بالآخر تأكيداً للعلاقة الجديدة.

وتقوية الصلات قد تكون بأمرين: أحدهما الزيارات والثانية الهدايا.

الزيارات: الزيارة هى وسيلة لزيادة الصلات بين الأسر، ولزيادة المودة والتآلف بين القلوب، ولكن يجب أن نحذر أموراً عدة تحوّل هذه الوسيلة عن مقصدها من رسول للمودة والألفة إلى سهم للفرقة والشقاق.

أول هذه الأمور:

يجب أن تكون الزيارة مناسبة فلا تتعدى الإطالة المعتدلة فقد أمرنا النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه البزار والبيهقى والطبرانى والحاكم أنه قال: «زُرْ غِبًّا تزدد حبًا».

والغب: الزيارة فترة بعد فترة. وقيل أسبوع بعد أسبوع.

وما أحسن قول ابن دريد:

عليك بإغباب الزيارة إنها
إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإنى رأيت الغيث يُسأم دائبًا
ويُسأل بالأيدى إذا هو أمسكا

وثانى هذه الأمور: تخير أوقات الزيارة

يقول الله تعالى فى محكم أياته:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٨، ٥٩].

يأمر الله سبحانه المربين فى هذا النص القرآنى أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا سن البلوغ إلى أن يستأذنوا على أهليهم فى ثلاثة أحول:

الأول: من قبل صلاة الفجر، لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً فى فرشهم.

الثانى: وقت الظهيرة، لأن الإنسان قد يضع ثيابه فى تلك الحال مع أهله.

الثالث: من بعد صلاة العشاء، لأنه وقت نوم وراحة.

أما إذا بلغ الأطفال سن البلوغ والرشد فعليهم أن يستأذنوا فى هذه الأوقات الثلاثة وفى غيرها، امتثالاً لقوله تبارك وتعالى.

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾.

ولا يخفى ما فى هذه اللفتات القرآنية من اهتمام الإسلام بتربية الفرد اجتماعيًا، وتكوينه سلوكيًا وخلقيًا، حتى يكون النموذج الحى للإنسان الكامل فى أدبه وخلقه وتصرفه واتزانه.

فإذا كان هذا الواجب الاجتماعى مفروضًا على الأطفال والبالغين تجاه أهليهم، فما بال الآخرين والزائرين لا يتخيرون أوقات زيارتهم، أو لا يستأذنون قبلها حتى يستعد أهل البيت للزيارة، وما بال آخرين إذا قاموا بالزيارة أطالوها فمكثوا إلى منتصف الليل أو بعده، فإذا تملل أصحاب البيت أو أظهروا امتعاضًا واستياءً أنكروا عليهم ذلك، وغاب عنهم أولاً أنهم خالفوا الخلق الإسلامى والنهج الاجتماعى فى الإسلام.

وثالث هذه الأمور وأخطرها: لا يختلى الخاطب بمخطوبته

فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم».

وقال عمر بن الخطاب: إنى أوصيك بوصية فاحفظها: «إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن».

لأن المخطوبة أجنبية عن الخاطب حتى يتم زواجه بها، فالخلوة فوق أنها مزلق خطير وموبق كبير فهى موضع تهمة وريبة ومكان شك ومظنة، إن علم بها الناس أساءوا الظن بصاحبها ولو كان من الأتقياء والصالحين.

فالإنسان الواعى العاقل والمؤمن التقى أسمى من أن يضع نفسه موضع التهمة ومحط الشبهات، ومن الواجب على الفرد المسلم الملتزم أن يخجل من أن يؤثر عنه سوء وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب بعيدة عن الإشاعات السيئة. تمعن فى موقف النبى ﷺ عندما رآه بعض أصحابه مع زوجته السيدة صفية رضى الله عنها فى ناحية من المسجد؛ استوقفهم لينبئهم بأنه ليس مع امرأة غريبة عنه.

فهكذا يجب أن يكون سلوك المسلم الملتزم فضلاً عن الداعية إلى الله.

الهدايا: « تهادوا تحابوا » حديث شريف.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور » « أى الحقد ».

هكذا تفتح الهدية بابًا كبيراً للمودة والحب، وتغسل القلب من كل ما يعلق به من حقد وحسد وبغض.

إن بضعة قروش قليلة هى ثمن هدية لمن تحبه، تفتح لك بابًا واسعًا إلى نفسه وتقطع بك شوطًا كثيراً فى طريقك إلى قلبه. وليعلم كل فرد أن الهدية لا تقاس قيمتها بثمنها وإنما بمغزاها.

ولكن عجبًا لأناس صارت عندهم الهدية حقًا مكتسبًا وفريضة واجبة، وتؤدى فى مواسم ومناسبات اخترعوها وفرضوها على الحياة الاجتماعية، وحدّدوا لها أشكالاً وقيمًا لا تقل عنها فإن لم تؤد أو قلّت قيمتها صارت أمراً مستهجناً يعيّر به الفرد.

والشبكة نوع من الهدايا، فبدلاً من أن تكون رسولاً للمودة والمحبة، صارت بذرة للشقاق والفراق.

وكم من زيجات تحطمت فى أول خطواتها بسبب هذا الأمر.

فواجب علينا أن نصحح سلوكياتنا وأفعالنا وفق المنهج الإسلامى المميز ليقتدى بنا السالكون نفس الدرب.

رفع ميزانية المصروفات، واستهلك وقت زوجتى. لقد رفعنا أكف الدعاء إلى المولى راجين حصوله.

فكيف.. بتلك المتغيرات التى تأتينا رغما عنا، وتعترض مسيرة حياتنا السعيدة رغم ما نبديه تجاهها من مقاومة.

التقدم فى العمر، زوال الجمال والصحة

تزايد عدد الأبناء، الفتور فى المشاعر

نقص الموارد المالية مع زيادة المتطلبات العائلية

هذه المتغيرات وغيرها تقتحم يوميًا وبعنف بهجة الحياة التى نعيشها، فتحيل خضار السعادة إلى يابس التذمر والشكوى والنكد ما لم نتصرف حيالها تصرف الأذكياء العاقلين من الأزواج والزوجات. وهاكم السر.

يقول أحد القضاة وقد ظل أحد عشر عامًا قاضيًا لمحكمة الأحوال الشخصية ونظر آلاف من حالات الهجر والانفصال بين الأزواج:

إن الأسباب الرئيسية التى يهجر الرجال بسببها منازلهم هى أن زوجاتهم يظللن البيت بجو من النكد والتنغيص.

إن الكثيرات من الزوجات يحفرن قبور سعادتهن الزوجية تدريجيا، بواسطة سلسلة من الحفرات الصغيرة التى قد لا يهتم لها فى بادئ الأمر.

وهذا النكد أو السحر الأسود الذى يفسد الحياة الزوجية نوعان:

النكد الليلى، والنكد الأبدى، وهما يؤديان إلى نفس النتيجة من الحزن والإحباط والضغوط النفسية وإن اختلفت الأعراض.

فالنكد الليلى توقيته الليل، وتبدأ «الأعراض» بتكشيرة مسائية مناسبة، ووجه طوله شبران، مع احتمال فقد الشهية للعشاء أو عدم تحضيره من الأصل، بجانب الصمت وعدم الكلام ثم النوم فى النهاية على أحد الجانبين الأيمن أو الأيسر، لا يهم أيهما، ولكن المهم أن يكون الطرف الآخر دائما فى الظهر!.

أما النكد الأبدى، فهو نكد دائم ومستمر ولا يرتبط بوقت أو مكان، وإنما يزداد إفراز الأدرينالين فى الجسم وتزداد الرغبة الدفينة فى النكد فتبدأ الأعراض بزيادة فى عدد تجاعيد الجبين مع التكشيرة القوية المستمرة، ولا مانع فى هذه الحالة من رفع الحاجب الأيسر مع عدم الكلام مطلقا، ليس لفقد القدرة عليه، وإنما بهدف مضاعفة جو النكد فى البيت، مع رفع الصوت صاخبًا وبعصبية شديدة على الأولاد بحجة تأديبهم وبهدف استكمال أسباب الضيق والتوتر والكآبة، مع تعمد عدم تحضير الطعام أو تعمد التأخر فى إعداده، وعدم الاهتمام المتعمد بشئون البيت والأولاد مع النوم على انفراد بالطبع فى أقصى الفراش، وعلى أن يكون النوم عميقًا ولفترة أطول من المعتاد، مع زيادة الاستمتاع به أكثر من الأيام العادية كنوع من إغاظة الطرف الآخر.

تلك هى أعراض هذا المرض المدمر الذى يعتبر أقسى المبتكرات وهو أعظمها فتكا، إنه كلدغة الحية الرقطاء ليس له دواء.

وقد حذر بعض العرب من صنف من النساء تظهر عليه هذه الأعراض:

«إياك وكل امرأة كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدمن الحسنات، وتفشى السيئات، تُعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان، ليس فى قلبها رأفة ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت، كثيرة الإدعاء، قليلة الارعواء، تأكل لَمًّا، صخوب

غضوب، لا تطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها، صبيها مهزول، وبيتها مذبول».

وعلى الجانب الآخر أحد الأزواج يتحدث عن صفات زوجته المثالية بعدما فارقت الحياة فى قصيدة طريفة ومؤثرة فحري بكل امرأة أن تقف عندها محاولة أن تتخلق بأوصافها. فيقول الشاعر محمد يحيى الأريانى:

من نصف قـرن ونيف قـد أنست بهـا
فى خـيـر عـيش فـلا همٌّ ولا كـدرُ
إذا طغى الخطب واسـودت نوازله
تبـسـمت فـتـجلى ليله العكر
كـانت ضـمـاد جـروحى وهى راضـيـة
هى الحـيـاة، هى الدنيـا، هى العـمـر
يا نفـحـة من جناب الله طيـبـة
مـسكيـة العَـرف يزكـو عـرفـهـا العطر
قـدسـيـة الروح، أطهـار عـرائقـهـا
لم يئن من عـزمـهـا سـقم ولاكـبـر
كـانت مـثـالا من التـقـوى لهـا صلة
بالله، أخـلاقـهـا (القـرآن) تزدهر
هالوا التـراب عليـهـا وهى نيـرة
كـالشـمس تحت سـحاب الأفق تستتر

***

يا ربة البيت يا مشكاة بهجته

العيش بعدك مرٌ كله صبر

في كل زاوية منك به أثر

إذا مررت عليك يبكي الأثر

كانت لنا فيه، أوطار تعللنا

باختفائك عنه انتهى الوطر

وحولنا في زواياه، لنا شجر

فروعها أينعت منا لها ثمر

ما زال منك بأفكاري وفي بصري

وفي سويداء قلبي تطلع الصور

تسود في عيني الدنيا إذا خطرت

كأنما الكون، لا شمس، ولا قمر

فإذا أردت - أيتها الزوجة - أن تستبقي سعادتك الزوجية

فاتبعي القاعدة رقم (١)

لا تختلقي النكد

* * *

٢ - أقصر السبل المؤدية إلى الطلاق

روى الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب النكاح:

أن أحد الصالحين أراد طلاق امرأته فقيل له:

ما الذى يريبك فيها؟

فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته.

فلما طلقها: قيل له لماذا طلقها

فقال: مالى وامرأة غيرى

إنه لا يقدم على النقد إطلاقًا، ولا يسوق اللوم صريحًا، فالنقد العقيم يكسر القلب، ويذل النفس.

واحرص على أن تستعمل أجمل الألفاظ إذا كان للنقد بد، ولا تقل اللفظ الشديد منها عند وجود السهل، ولا تلجأ إلى اللفظ النابى والكلمة الخشنة مادام يتوفر غيرها، فقد روى عن المزنى أنه قال:

سمعنى الشافعى يومًا وأنا أقول فلان كذاب، فقال لى: يا إبراهيم: أكسُ ألفاظك أحسنها. ولا تقل كذاب ولكن قل: حديثه ليس بشىء.

فعجبًا للأزواج الذين يقيمون الدنيا ويقعدونها من أجل تقصير هين فى مذاق الطعام، ويقرعون زوجاتهم بأليم العتاب والتنذر، ويا لها من مصيبة ويوم

عصيب إذا طلب شيئًا فلم يجده، أسمعها عبارات السخط والتأنيب فيسم بدنها.

يقول بشار بن برد:

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تُعد معايبه

وهذه القاعدة إذا أحسن تطبيقها فيما بين الأصحاب من أواصر، وما يعرض لعلاقاتهم من هزات، فهى بين الزوجين ألزم، وللسيطرة على حياتهم أحب وأحكم.

فإن ضاق الزوج بغلطة من امرأته تذكر أن لها صوابا وإن حزن لجانب من نفسها نظر إلى جانب آخر يسره منها، فكما يقول ديل كارينجى:

«إن الصغائر فى الحياة الزوجية يسعها أن تسلب عقول الأزواج والزوجات وتسبب نصف أوجاع القلب التى يعانيها العالم.

أما إن كان لابد من العتاب، فعلى الزوج أن يتحلى بهذه الآداب:

١ – عدم تهويل الأمر محل العتاب، فينبغي أن نعطى الأمر حجمه فلا نجعل من الفرع أصلاً، ولا من الذَّنب رأسًا.

٢ – البدء بالتلميح قبل التصريح لأن التصريح قد يجرح.

٣ – الإسرار بالعتاب، فلا يجعله أمام أحد من الناس.

٤ – اختيار الوقت المناسب، فلا يعاتب عند العراك والغضب بل يتريث حتى تهدأ الأمور وتصفو النفوس.

٥ – المحافظة على المعاتب بحيث لا يجرحه ولا ينتقصه بل يظهر له الحب والتقدير.

وليعلم الأزواج أن كثرة العتاب والنقد اللاذع تنغص على الزوجة عيشتها.

فإذا أردت أن تستبقى سعادتك الزوجية فاتبع القاعدة (٢):

لا تنتقـد

* * *

لكى تسعد كل إنسان

رأى المجنون فى البيداء كلبا
فجر له من الإحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه
وقالوا قد أنلت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة: إن عينى
رأته مرة فى حىّ ليلى

إن الزوج المسلم ينبغى أن يكون ذا قلب رقيق، وعاطفة جياشة، ونفس حساسة، يعطى التقدير المناسب بالكلمة الطيبة، والبسمة الحانية والهدية المناسبة، فقد بالغ قيس بالترحاب بالكلب لأنه رآه مرة فى حى حبيبته ليلى.

فكيف يكون حال الزوج تجاه زوجته التى أحبها وأحبته وتزوجها إن رأها هى. وكيف يكون إحساسه عندما تقدم له صنيعا أو معروفا بعدما توحدا معا وتشاركا سويا. فصدق عليهما قول المنخل اليشكرى:

أحبها وأحبنى وأحب ناقتها بعيرى

فمن الأساطير التى تجرى مجرى الأمثال: أن امرأة قروية أتت يومًا بكومة من علف الماشية ووضعتها أمام رجال عشيرتها بدلا من الطعام، فصرخ الرجال فى وجهها وقد حسبوا أن مسًّا من الجنون أصابها فما كان منها إلا أن قالت لهم:

«وما أدرانى أنكم ستلاحظون الفارق»؟

لقد ظللت أطهو لكم طعامكم عشرين عامًا سويًا فلم أسمع منكم طوال هذه المدة ما يطمئننى إلى أنكم تفرقون حقًا بين الطعام الجيد وعلف الماشية!

فمن المعلوم أن الإنسان كائن يتأثر بالتشجيع والمكافأة، فإن قام بأداء عمل فأنجزه فإن التقدير والثناء يشبع رغباته، فقد اعتقد الناس على مر العصور أن الثناء والمدح نوع من القوة التى تعمل عمل المعجزات. فإن كلمات الثناء والامتنان والتعبير عن الشكر، تقوم بكل الطرق بالإشعاع بالطاقة وإطلاقها.

إن بوسعك أن تمدح جسدا ضعيفا ليتحول إلى قوة، وأن تمدح قلبًا يملؤه الخوف ليتحول إلى السكينة والثقة، والأعصاب المحطمة إلى ثبات وقوة.

فقد كانت هناك سيدة عجوز تقول لكل من يثنى على هيئتها الرقيقة الجميلة:

شكرا لك، أستطيع أن أحيا عامًا آخر على هذه الكلمات.

ولم تكن المرأة فى ذلك بعيدة عن الصواب، وذلك لأن الثناء يمنحها بالفعل طاقة جديدة ويكسبها حياة جديدة.

فقد تكون الكلمات البسيطة مثل «شكرا لك» «جزاك الله خيرا» من الكلمات السحرية فى العلاقات الإنسانية إذا تم توظيفها بطريقة صحيحة.

ولكن عليك باتباع القواعد التالية:

١ - ينبغى للشكر أن يكون صادقًا

انطق بالشكر كما لو أنك تعنيه فعلاً، ضع بعض الأحاسيس وبعض الحياة فيه، لا تدعه يبدو فى قالب روتينى، بل فى قالب خاص، تخص به من تقوم بشكره.

٢ – عبر عنه بوضوح، لا تتمتم أو تغمغم به، وليكن واضحا جليا.

٣ – انظر إلى عينى زوجتك وأنت توجه الشكر إليها.

واعلم أيها الزوج:

كم من زيجات تحطمت لأن الزوجة لم تجد كلمة تشجيع أو ثناء أو تقدير تظلل الحياة وتخفف من أعبائها.

فعليك فى المرة القادمة:

عندما تطهو لك زوجتك طعامًا شهيًا، أظهر إعجابك بطريقة طهوها، دعها تحس أنك تفرق بين علف الماشية والطعام الجيد!

فإذا أردت أن تسعد حياتك الزوجية

فاتبع القاعدة رقم (٣):

امنح التقدير المخلص

* * *

٤ - اللياقــة مطلــب أساسى

تزوج سيدنا سلمان الفارسى فدخل على زوجته فسلم وجلس وقال لها: هل أنت مطيعتى فى شىء آمرك به؟

قالت: جلست مجلس من يطاع.

ما أحلى هذا الكلام وما أعظم موقعه على القلوب والنفوس، إنها كلمات إن ترددت فى جنبات البيت تحكم إغلاقه أمام شياطين الإنسان والجن وتستدعى تنزل الملائكة.

بارك الله لك، جزاك الله خيراً، أسفة جداً يا حبيبى ليس لنا بعد الله إلا أنت، أنت تأمر، طلبك مجاب، من فضلك، لا أجد السعادة إلا فى حضورك، كل ما تشتريه وتحضره يدل على ذوق وجمال.

مثل هذه الكواكب النيرة فى البيت تشيع فيه رنة السعادة، ونور الهداية وهناء العيش، وأنس القلوب والأرواح.

إن كان صعب التنفيذ عليك لعدم استجابة الزوج، أو لعدم تقديره هذه الأمور منك، أو لعدم تعودك عليه، فاعلمى أن هذا من تلبيس إبليس الذى لا يحب لك الخير.

ابدئى من عندك أنت، وأؤكد لك أن زوجك مهما كان سلوكه مهما كانت عواطفه فسوف يتغير.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ألا أخبركم بنسائكم

فى الجنة»:

قلنا بلى يا رسول الله قال: «ودود، ولود، إذا غضبت أو أسىء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدى فى يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى».

ومعنى (لا أكتحل بغمض: أى لا ترى عينى النوم).

أيتها الزوجة العاقلة، جربى مرة هذا الدواء لعلاج أى مشكلة فقد جربته زوجة مع زوجها كان الخلاف قد استحكم بينهما ذات ليلة حتى ظنا أن العلاج فى الطلاق، وفجأة تذكرت الزوجة هذا الحديث فقامت لتوها دون أدنى تفكير طاعة لله ورسوله وذهبت للحجرة التى فيها زوجها وقالت: يا فلان أعطنى يديك أقبلها.. إن النوم عصى عينى.

وكانت المفاجأة حيث قام دون كلام وأخذ هو يقبل يدها ويعتذر وهما يبكيان معًا وذاب الخلاف مع الدموع وخرج الشيطان بغير رجعة بكبريائه لتواضع هذه الزوجة.

إن اللياقة تستطيع أن تحجب عن الأنظار الباب الشائه الصدى، وتشف عما وراءه من الزهور المتفتحة الجميلة.

فقد تتلاشى المعانى السامية للزواج إذا أصر كل طرف على أن ينفصل عن الآخر بفكره ووجدانه وعلاقاته الاجتماعية فلا يلتقيان إلا فى ما يقتضيه الواجب والجسد. فتصبح الحياة الزوجية قيدا مملا وتزول منها روح الدعابة والمرح الذى يحيى الدفء فى بيوتنا. وإن لنا فى رسول الله ﷺ خير أسوة وفى تراثنا الإسلامى أمتع وأروع المواقف.

تروى لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فتقول: «كنت أشرب

وأنا حائض من إناء النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىَّ فيشرب! وأتعرق العرق (أى اللحم المختلط بالعظم) وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىَّ» [متفق عليه].

ونسمع كثيراً عن إكرام الحضارة الغربية للمرأة وفك قيودها فى أيامنا هذه، وذلك حين يفتح الرجل الغربى لزوجته ولغيرها من النساء باب السيارة لتركب حبًا وكرامة!! ويعلو صوت المنادين بتقليد الحضارة الغربية أين ذوق الرجل المسلم؟ وأين اتباعه لأصول اللياقة؟

ولكن الكثير منهم يجهلون أن نبيهم محمداً ﷺ فعل ما لا يخطر على بال أحدهم فى الحنو على المرأة واللطف بها حينما تزوج الرسول ﷺ من صفية بنت حيى فى سد الصهباء قادماً من فتح خيبر وعند العودة إلى المدينة يقول أنس رضى الله عنه «فرأيت رسول الله ﷺ يحوى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته، حتى تركب!

ولسان حالها يقول «رُكبتك لو سمحت» وقد كان على بن أبى طالب رضى الله عنه، يداعب زوجته فاطمة بنت الرسول ﷺ ويلاطفها ويبوح لها بحبه وهو من العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، فالتقوى وتسلم الحكم لم يمنعا عليًا من ملاطفة زوجه.

وها هو - رضى الله عنه - يدخل على فاطمة وهى تستاك فينشد فيها غزلا:

ظَفَرْتَ يا عُودَ الأراكِ بثغرِها

أما خِفْتَ يا عودَ الأراكِ أراكَا

لو كنتَ من أهلَ القـــتـــالِ قـــتلتك

لـم ينـج منى يا ســـــواكُ ســـــواكـــا

إن كل رجل يعرف أنه يستطيع أن يغرى زوجته على أن تفعل من أجله أى شيء لو أنه أهداها بين الفينة والفينة شيئا من الهدايا التى لا تكلف مالا يذكر مكافأة لها على حسن تدبيرها للبيت، أو إجادة طهوها للطعام!

وكل رجل يعلم أنه لو قال لامرأته « كم يبدو جمالك رائعا وضاءً فى ثوب العام الماضى » .

لما رضيت أن تستبدل بهذا الثوب القديم أحدث الموديلات .

وكل رجل يعرف أن فى وسعه أن يقبل عينى زوجته فيغمضها حتى تكاد تكون كالعمياء، وأنه يستطيع أن يطبع على شفتيها قبلة تفقدها القدرة على النطق .

فإذا أردت أن تسعد حياتك الزوجية فاتبع القاعدة رقم (٤) :

استعن باللياقة والكياسة على معاملة زوجتك

* * *

٥ - دع الحب يزدهر

روى ابن حبان فى صحيحه بإسناد جيد عن عطاء قال:

دخلت أنا وعبيد الله بن عمير على عائشة رضى الله عنها، فقال عبيد الله بن عمير: «حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ: فبكت وقالت: قام ليلة من الليالى - تعنى يصلى - فقال: يا عائشة، ذرينى أتعبد لربى، قالت: قلت: والله إنى لأحب قربك وأحب ما يسرك».

تمعن فى هذه الكلمات الطيبة «والله إنى لأحب قربك وأحب ما يسرك» وهذه العبارة الغزلية ترسم لنا علاقة المرأة بزوجها وكيفية معرفة كل من الزوجين نفسية صاحبه.

النبى يستأذن وهى تجيبه بحب وغرام، وتأذن له بفعل ما يجلب له السعادة والسرور.

تروى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تقول: قال لى رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت علىَّ غضبى!

فقلت: من أين تعرف ذلك؟

فقال: إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد وإذا كنت علىَّ غضبى قلت: لا ورب إبراهيم» [أخرجه البخارى].

وهذه إحدى القضايا التى لا تجد من كثير من الأزواج عناية مع أن دوام العشرة وهناءة العيش لا تحصل على أتم وجوهها إلا عندما يدرك كل منهما

نفسية صاحبة ومزاجه، وما يحبه ويكرهه، وما يرضيه ويسخطه، وما يقبله ويرفضه.

وخير ما يستشهد به على هذا لبيان أثره على حياة الزوجين قصة شريح القاضى، لما تزوج بامرأة من بنى تميم، فيقول:

لما دخلت عليها قمت أتوضأ فتوضأت معى، وصليت فصلت معى، فلما انتهيت من الصلاة دعوت بأن تكون ناصية مباركة وأن يعطينى الله من خيرها ويكفينى شرها. قال: فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت: إننى امرأة غريبة عليك فماذا يعجبك فآتيه وماذا تكره فأجتنبه.

ثم يقول شريح: مكثت مع زوجتى عشرين عامًا لم أغضب منها إلا مرة واحدة وكنت لها ظالمًا.

وقال أبو الدرداء – رضى الله عنه لامرأته:

إذا رأيتنى غضبت فأرضينى، وإذا رأيتك غضبى أرضيتك وإلا لم نصطحب، ثم أنشد:

خذى العفو منى تستديمى محبتى

ولا تنطقى فى سَورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة

فإنك لا تدرين كيف المغيب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى

إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

لذا فمعرفة كل من الزوجين لنفسية صاحبه قضية لها أثرها فى الحياة الزوجية وذلك حتى لا يكون أحدهم حجر عثرة فى طريق سعادة الآخر.

فأول ما ينبغى أن تتعلمه فى فن معاملة زوجتك هو ألا تعترض الطريق الذى تستمد منها السعادة.

فإذا أردت أن تستبق سعادتك الزوجية فاتبع القاعدة (٥):

دع شريك حياتك ينطلق على سجيته

* * *

اختبار للزوجات

ما هو مبلغ نضجك يا سيدتى؟

كثيرة هى الزيجات التى تعوزها السعادة لسبب بسيط، هو أن الزوجة قد اعتادت عادات من الميسور أن تتخلى عنها من أجل إسعاد الزوج... والأسئلة التالية تنتظم مجموعة من هذه العادات. فأجيبى عن هذه الأسئلة، وامنحى نفسك الدرجة التى تستحقينها وفقا لإجابتك.. فإذا كان مجموع درجاتك أقل من ٦٠ درجة فاعلمى أن زوجك محق فى شكواه.

الأسئلة	نعم	أحيانا	كلا
١- هل تراعين تقديم وجبة الإفطار لزوجك فى الموعد المناسب؟	٣	٢	١
٢- هل تمضين فى حديث غير ذى موضوع برغم ضجر زوجك؟	١	٢	٣
٣- هل تشجعين زوجك على مشاطرتك متاعبه وهمومه؟	٣	٢	١
٤- هل يتهمك زوجك باختلاق أسباب النكد له؟	١	٢	٣
٥- هل تهملين زينتك وهندامك طالما أنت داخل البيت؟	١	٢	٣
٦- هل تنظرين إلى زوجك على أنه مثل أعلى فى ناحية من النواحى.	٣	٢	١
٧- هل تضطرين زوجك إلى الانتظار الممل إذا كان بينكما موعد؟	١	٢	٣
٨ - هل تدبرين ميزانية البيت على وجه مُرْضٍ؟	٣	٢	١
٩ - هل تخصصين من بيتك غرفة أو ركناً يفخر زوجك بأنه ركنه الخاص؟	٣	٢	١
١٠ - هل تستعينين باصطناع الغضب على حمل زوجك على تلبية مطالبك؟	١	٢	٣
١١ - هل تتميزين بصوت ناعم حلو خفيض؟	٣	٢	١

١٢ – هل تشكلين وجبة الطعام بحيث تنتظم كافة العناصر الغذائية؟ ٣ ٢ ١

١٣ – هل تحاولين استدرار عطف زوجك باصطناع المرض؟ ١ ٢ ٣

١٤ هل تتجاوزين فى الإنفاق مصروفك الشخصى؟ ١ ٢ ٣

١٥ – هل تقدمين لزوجك هدايا نافعة فى مناسبات سعيدة؟ ٣ ٢ ١

١٦ – هل تشجعين زوجك على اتخاذ موقف إيجابى فى الحياة العامة؟ ٣ ٢ ١

١٧ – هل تعتنين بمظهرك وهندامك؟ ٣ ٢ ١

١٨ – هل تتخيرين عطراً يروق لزوجك؟ ٣ ٢ ١

١٩ – هل تشجعين زوجك على أن يستمتع بصحبة أصدقائه؟ ٣ ٢ ١

٢٠ – هل ترين أنك لو قدر لك أن تتزوجى مرة أخرى فإنك سوف تختارين زوجك؟ ٣ ٢ ١

المجموع =

اختبار للأزواج

ما هو مبلغ نضجك يا أخى؟

والزوجات كذلك يشكين من عادات يعتادها الزوج، وما أسهل أن يتخلى عنها إسعاداً لحياته الزوجية... وتتجلى هذه العادات فى الأسئلة التالية... فأجب عنها يا أخى، وامنح نفسك الدرجة المناسبة، فإذا حصلت فى النهاية على أقل من ٦٠ درجة، فإن زوجتك محقة فى شكواها!

الأسئلة	نعم	أحياناً	كلا
١ – هل تستيقظ من نومك ساخطاً؟	١	٢	٣
٢ – هل تنتقد طريقة زوجتك فى الطهو؟	١	٢	٣
٣ – هل تقارن بين ما تصنعه زوجتك وما اعتادت أمك أن تصنعه؟	١	٢	٣
٤ – هل تهمل اصطحاب زوجتك إلى نزهة أو رحلة؟	١	٢	٣
٥ – هل تزور المطبخ لتختبر بنفسك مدى كفاءة زوجتك فى الطهو؟	١	٢	٣
٦ – هل تنتقد زوجتك أمام الضيوف؟	١	٢	٣
٧ – هل تتبرم بزيارة أقارب زوجتك؟	١	٢	٣
٨ – هل تؤاخذ زوجتك إذا أتى أبناؤك بتصرفات مخجلة؟	١	٢	٣
٩ – هل تحاول أن تفرض على زوجتك ما ترتديه من ثياب؟	١	٢	٣
١٠ – هل تبدى اعتذارك إذا وقع منك ما يسئ زوجتك؟	٣	٢	١
١١ – هل تنبئ زوجتك بالتليفون أنك ستتأخر فى العودة؟	٢	٢	١
١٢ – هل تحاول أن تظهر بمظهر صاحب السلطة والسيطرة فى البيت؟	١	٢	٣
١٣ – هل تنسى تاريخ زواجك؟	١	٢	٣

١٤ – هل تتحدث إلى زوجتك بمشروعاتك المستقبلة؟	٣	٢	١
١٥ – هل تبدى التلطف والحنان إذا توعكت زوجتك؟	٣	٢	١
١٦ – هل تتبرم باصطحاب زوجتك لزيارة أقاربها؟	١	٢	٣
١٧ – هل ترفض أن تبقى مع أطفالك إذا خرجت زوجتك لأمر هام؟	١	٢	٣
١٨ – هل تثبط عزيمة زوجتك إذا شاءت تنمية هواية معينة خاصة بها؟	١	٢	٣
١٩ – هل تحرم على زوجتك بعض ما تفعله أنت؟	١	٢	٣
٢٠ – هل تبدى الحب لزوجتك فى المناسبات السعيدة؟	١	٢	٣
المجموع =			

المراجع

القرآن الكريم

١ – الإنسان كَلاًّ وعدلاً — جودت سعيد

٢ – بريد الأهرام — عبد الوهاب مطاوع

٣ – تربية الأولاد فى الإسلام — عبد الله ناصح علوان

٤ – حول إعادة تشكيل العقل المسلم — د. عماد الدين خليل

٥ – الذوق سلوك الروح — عباس السيسى

٦ – السلوك الاجتماعى فى الإسلام — حسن أيوب

٧ – السعادة الزوجية — محمود الصباغ

٨ – طريق الشخصية الجذابة — جيمس بندر

٩ – العوائق — محمد أحمد الراشد

١٠ – فقه السنة — سيد سابق

١١ – فقه السيرة — محمد الغزالى

١٢ – قيم المجتمع الإسلامى من منظور تاريخى — د. أكرم ضياء العمرى

١٣ – كيف تسعد زوجتك؟ — محمد عبد الحليم حامد

١٤ – كيف تؤثر فى الناس وتكسب الأصدقاء؟ — ديل كارينجى

١٥ – مفهوم التغيير الإسلامى — د. ماجد رمضان

١٦ – مقدمة فى التفاوض الاجتماعى — د. حسن وجيه

١٧ – ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده — د. يوسف القرضاوى

الفهرس

الموضوع — الصفحة

- مقدمة ٥
- الفصل الأول

مفهوم التربية الاجتماعية ٩

- الفصل الثانى

نافذة على الشخصية الاجتماعية ١٩

- الفصل الثالث

سلوكيات يجب أن تصحح ٢٩

- الفصل الرابع

هل أنت إنسان اجتماعى؟ ٥٩

الفصل الخامس

فى الخطبة والزواج ٧٣

- الفصل السادس

الطريق إلى السعادة الزوجية ٨٥

المراجع ١١١

الفهرس ١١٢

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

الشخصية الإجتماعية

إن هذا الكتاب يحوي فنون وقواعد تستهدف اكتساب الفرد سمات وسلوكيات الشخصية الإجتماعية التي تستطيع أن تكتسب قلوب الناس وتجذبهم إلي الإسلام وتعاليمه ، والناس هم : أزواجنا وإخواننا وأصدقاؤنا في العمل وجيراننا في المجتمع . وهو فن جديد صار علماً يدرس في المعاهد والجامعات وهو فن معاملة الآخرين ـ فن المعاملة الإنسانية ـ فن العلاقات العامة ، الذي لابد من إجادته طمعاً في سعادة أو كسب أو تقدم ورقي ونجاح لفكرتنا .

الناشر

توزيع :

دار المنار الحديثة للنشر والتوزيع

٢١ ش السيدة عائشة - الخلفاوي - شبرا - القاهرة

تليفاكس : ٢٠٤٤١٩٤